بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة
الكلية العليا للقرآن الكريم

حولية علمية محكمة تصدر عن الكلية العليا للقرآن الكريم – الجمهورية اليمنية

العدد الأول – فبراير – ٢٠٠٣م

رئيس التحرير
د. عبد الحق القاضي
مدير التحرير
أ. حسن محمد جابر
نائب مدير التحرير
د. حفصة أحمد منشي
سكرتير التحرير
أ. محمد محمد العديل

الهيئة الاستشارية :

أ . د . حسن محمد مقبولي الأهدل
أ . د . محمد سنان الجلال .
أ . د . عبد الكريم زيدان.
أ . د . عبد الوهاب لطف الديلمي .
أ . د . علي غالب المخلافي
أ . د . علي أحمد القليصي .
أ . د . محمد يوسف الربيدي.
أ . د . محمد حاتم المخلافي .
أ . د . إبراهيم إبراهيم القريبي

توجه جميع المراسلات إلى مدير التحرير عل العنوان التالي :
مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم - الجمهورية اليمنية – صنعاء
ص.ب (١١٢٢٩) هاتف (٤ - ٢١٦٨٦٥) فاكس (٢١٦٨٦٩)

الطباعة والإخراج الفني : محمد عبدالخالق القضاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي
هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيرا ﴾

معايير النشر وضوابطه

تعني المجلة بنشر البحوث الأصيلة والمبتكرة في مجالات العلوم القرآنية وفاء بمقتضيات الرسالة العلمية للكلية العليا للقرآن الكـــريم وذلك وفقاً للضوابط والمعايير التالية :

١) أن يتسم البحث بالأصالة ، مع وجوب مراعاة الموضوعية فـــي العرض والتناول، والدقة والوضـــوح فـــي اللغـــة والأســـلوب، واستيفاء التوثيق المنهجي للنصوص والمقتبسات بذكر المصادر والمراجع، وتحديد أرقام الآيات وتخريج الأحاديث .

٢) ألا يزيد عدد صفحات البحث على الثلاثين صـــفحة نوعيـــة بواقع (٣٠٠) كلمة للصفة الواحدة ، وألا يقل عن الخمس عشر صفحة .

٣) ألا يكون البحث منشوراً من قبل، أو مقبولاً للنشر بجهة أخرى .

٤) أن ترسل النسخة الأصلية المطبوعة من البحث مع صورتين منها للمجلة، مع مراعاة الضبط الكامل والمراجعة الدقيقة .

٥) تخضع البحوث المقدمة للنشر للفحص والتقويم من قبل محكمين أو أكثر من الأساتذة المتخصصين ذوي الخبرة في المجال ذاته.

الآراء والأفكار الواردة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وفكر الكلية

المحتوى

كلمة التحرير

نبذة عن الكلية العليا للقرآن الكريم---------- ١

القلق النفسي أسبابه وعلاجة ---------- ٩

بعض صفات أهل الكتاب وموقفهم من الإسلام والمسلمين - ٦١

مسقطات التكليف عن علماء الأصول---------- ١١٨

تنظيم الأسرة في ميزان السياسة الشرعية ---------- ١٥١

تعريفات بالدراسات القرآنية ---------- ١٨٢

تفسير البيان – دراسة وتحقيق - ---------- ١٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد

الحمد لله وحده مستحق الثناء الجميل، والشكر لـه أولا وآخـراً والصـلاة والسلام على أفضل خلق الله وأكملهم خاتم الأنبياء والمرسلين خير مـن تعلـم وخير من علم وخير من دعاء وأرشد، وعلى آله وأصحابه أجمعين أما بعد : فهذا هو العدد الأول من مجلة الكلية العليا للقرآن الكريم نرجو من الله عز وجـل أن يعيننا على الاستمرار في إصدارها حتى تكون إضافة جيدة إلى المطبوعات المتميزة في مجال علوم القرآن الكريم .

ودعوتنا للإخوة العلماء والباحثين مدنا بالجديد من أبحاثهم وتحقيقاتهم، والمفيد من آرائهم واستدراكاتهم التي ستحظى بكل اهتمامنا وستجد بإذن الله طريقهـا إلى النشر بعد إجازتها من لجنة التحكيم آخذين في الاعتبار أقدمية وصول المادة العلمية إلينا .

والمجلة إذ ترحب بالأبحاث في مختلف مجالات العلوم الشرعية وعلـوم اللغـة العربية إلا أنها تأمل أن تكون الأبحاث ذات صلة بالقرآن الكريم وعلومـه، وأن تجنح إلى معالجة المشكلات التي تعاني منها المجتمعات الإسلامية .

سائلين الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً لخدمة كتابه العزيز إنه نعـم المـولى ونعم النصير .

رئيس التحرير

الكلية العليا للقرآن الكريم .. أصالة وتفرد

التحريـــــــر

مقدمة

إن تدبر القرآن الكريم هو الطريق إلى إدراك معانيه وفهم مراميه والتي هي اصل تكاليف الدين .. ونحن حين نقرأ قوله تعالى : (لتبيننه للناس) ندرك أن التكليف هنا يشير إلى وجوب تبيين القرآن الكريم للناس كلاً بما يستطيع .. فالعالم بعلمه وغير العالم بالسعي لخدمة الكتاب إما بالمال أو غيره بحيث يعمل الجميع على الوصول إلى درجة الخيرية التي قال عنها الرسول ﷺ :(خيركم من تعلم القرآن وعلمه) بل أننا نجد الرسول ﷺ يساوي في الفضل بين من آتاه الله القرآن الكريم فانشغل به وبين من آتاه الله مالاً فانشغل بإنفاقه في سبيل الله حيث يقول عليه الصلاة السلام : (لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار) أخرجه البخاري في صحيحة .

ولهذا فقد تنادى نفر من أهل الخير في يمن الإيمان والحكمة للدخول في جمله من وصفهم الرسول ﷺ بالخيرية وذلك من خلال تأسيس الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم التي تم إشهارها رسمياً في الثالث من شهر ربيع الأول للعام الهجري ١٤١٣هـ الموافق ١-٩-١٩٩٢م .

وقد نشطة الجمعية منذ إنشائها في مجال تعليم القرآن الكريم حيث أسهمت في تيسير التحاق كثير من الناشئة من الذكور والإناث بالحلقات القرآنية التي انتشرت

في عدد من محافظات الجمهورية اليمنية إلى جانب اهتمامها بغير ذلك من الأنشطة القرآنية المختلفة .

ورأت الجمعية من خلال ممارستها لنشاطها التعليمي أن هناك عجزاً كبيراً من حيث الكم والكيف في حملة القرآن الكريم الذين يتقنون تلاوته علي أكثر من رواية، وينهضون بعبء تعليمه للناس علي أوسع نطاق ممكن ، لذا فقد بادرت إلى إنشاء الكلية العليا للقرآن الكريم التي تم التصريح لها واعتمادها من التعليم العالي بالقرار رقم ١٥ لعام ١٩٩٤ ، والتي تعتبر منارة فريدة في يمن الإيمان والحكمة باعتبارها الأولى من حيث التخصص في القرآن الكريم وعلومه تعلماً وتعليماً وبحثاً ونشراً وقد بدأت الكلية عام ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م بفرعها للبنين فقط إلى أن رغبة الأهالي في إلحاق بناتهم بهذا المجال من العلوم قد أسرع في إنشاء فرع البنات الذي بدأ عام ١٤١٩هـ /١٩٩٨م .

نظام الدراسة في الكلية .

١) يدرس الملتحق بالكلية العليا للقرآن الكريم مدة أربع سنوات ، في كل سنة فصلان دراسيان .

٢) مدة الدراسة في الفصل الواحد ثمانية عشر أسبوعاً أسبوعان منها لاختبارات نهاية الفصل ، ويبلغ عدد المقررات الدراسية في السنوات الأربع ٢٤ مقرراً .

٣) وتعتمد الكلية نظام التقويم المستمر حيث يخضع الدارس فيها للمتابعة المنتظمة خلال الدراسة .

٤) يمنح الطالب الناجح في جميع المقررات خلال السنوات الأربع شهادة تسمى إجازة عليا في القراءات أو التفسير وهي تعادل الشهادة التي تمنحها الكليات الجامعية الأخرى .

أهم شروط الالتحاق بالكلية :

١) الحصول علي شهادة إتمام الثانوية العامة أو ما يعادلها علمياً.

٢) إتمام حفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم.

٣) اجتياز امتحان القبول .

أهداف الكلية :

١) تخريج أجيال من الحفاظ للقرآن الكريم علي القراءات السبع بأسانيدها عن الرسول ﷺ .

٢) تعميق العقيدة الصحيحة وفهم أحكام التشريع والالتزام الدائم بالسلوك المتضمن في كتاب الله - عز وجل - .

٣) تمكين الطالب من استعياب علوم القرآن الكريم وأحكام التجويد وتطبيقها.

٤) إكساب الطالب المهارات اللغوية اللازمة لفهم معاني الكتاب العزيز وجوانب إعجازه .

٥) تدريب الطالب علي الطرق التربوية الحديثة لتعليم القرآن الكريم وتدريس علومه المختلفة .

٦) تربية الطالب علي التخلق بأخلاق القرآن الكريم والإقتداء بالرسول ﷺ .

وإلى جانب هذه الأهداف فإن الكلية تسعى إلى تحقيق ما يلي :

- تقويم وتشجيع الأبحاث العلمية المتصلة بالقرآن الكريم وعلومه .
- تبادل المعلومات والخبرات والمطبوعات ، وتوثيق الروابط مع المؤسسات العلمية والتعليمية المشابهة .
- المشاركة في المؤتمرات والندوات التدريبية والحلقات والأبحاث محليا وعالمياً .
- عقد الدورات التأهيلية والتدريبية للعاملين في ميدان تعليم وتعلم القرآن الكريم وعلومه .
- تشجيع تحقيق ونشر المخطوطات والوثائق العلمية والفنية المتعلقة بالقرآن الكريم وعلومه .

مميزات الكلية .

١) التخصص في القرآن الكريم وعلومه حيث أنها الوحيدة في مجالها في يمن الإيمان والحكمة ، ويعتبر فرع الطالبات من أوائل المؤسسات في العالم الإسلامي في مجاله .

٢) تمنح شهادة جامعية للمتخرجين إلى جانب إجازة بالسند في القرآن الكريم على القراءات السبع

٣) يدرس فيها أساتذة من الجنسين علي درجة عالية من الكفاءات العلمية والتربوية .

٤) تعليم القرآن الكريم فيها يعتمد علي ما يشبه التعليم المصغر (نظام المجموعات التي لا تزيد عن ١٥ طالباً) كما أن عدد الطلاب في المحاضرات مناسب جداً .

٥) الدراسة في الكلية مجانية .

٦) توفر الكلية للطلاب الوافدين وأصحاب المناطق النائية من الذكور السكن الداخلي والتغذية .

٧) تقدم الكلية حوافز مالية وعينيه للمتفوقين .

٨) ترتبط الكلية باتفاقيات توأمة مع بعض الجامعات العربية .

٩) الكلية عضو عامل في اتحاد جامعات العالم الإسلامي .

١٠) الكلية معتمدة من التعليم العالي بالقرار رقم ١٥ لسنة ١٩٩٤ م

١١) هناك اتفاقية تعاون لمعادلة شهادة الكلية بشهادة كلية التربية بجامعة صنعاء.

١٢) فرع الطالبات بالكلية يشتمل على حضانة لأبناء الأمهات من الطالبات ومعملاً للكمبيوتر لتأهيل الطالبات بما يساعدهن علي مواكبة العصر .

١٣) تعتمد الكلية ميزانية سنوية مناسبة لمواجهة نفقات النشاط الطلابي .

١٤) تستقدم الكلية سنوياً أساتذة زائرين من خارج البلاد لإلقاء محاضرات في التخصصات النادرة .

١٥) تقوم الكلية بمد أواصر التعاون بينها وبين الجمعيات والهيئات والجامعات والمعاهد والشخصيات المهتمة بمجال القرآن الكريم والعلوم الإسلامية محلياً ودولياً .

١٦) تمتلك الكلية مكتبتين (للبنين والبنات) وكل منها مزودة بالمراجع العلمية التي يحتاجها الطلاب .

١٧) تشجع الكلية الطلاب علي القيام بالأنشطة المختلفة المصاحبة للمنهج الدراسي مثل (المحاضرات العامة – الرحلات – إصدار النشرات- المعارض الخيرية – المهرجانات – الدورات العلمية في المجالات المختلفة).

١٨) توظف الحكومة خريجي الكلية في المجال التعليمي لتدريس مادة القرآن الكريم، وقد صدر بذلك تعميم من وزارة التربية والتعليم علي جميع مكاتب التربية باعتماد مخرجات الكلية العليا للقرآن الكريم للعمل بالتدريس في التعليم العام .

١٩) أعلن نائب وزير التربية في حفل تخرج الدفعة الأولى من البنات والخامسة من البنين عن تقديم عدد أربع منح دراسية لطلبة الكلية من أجل دراسة الماجستير في جمهورية مصر العربية .

٢٠) تضم الكلية قسمين أحدهما للقراءات والآخر للتفسير .

هيئة التدريس بالكلية :

تعتمد الكلية حالياً علي كفاءات علمية من حملة الشهادة العليا (الدكتوراه) وجلهم من أعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء ، فيما عدا مشائخ القرآن الكريم الذين يتم اختيارهم من كبار القراء الحاصلين علي أجازات بالسند المتصل بالنبي ﷺ

تمويل الكلية :

تعتمد الكلية في تمويلها وتسيير أعمالها على ما يجود به أهل الخير من محبي القرآن الكريم ، والأمل كبير في الله سبحانه وتعالى أن يوفقهم إلى الاستمرار في

دعم هذا الصرح العلمي حتى يحقق أهدافه، ويعم نفعه المسلمين جميعاً ، ويؤتي ثماره المرجوة بإذن الله .

الطموحات المستقبلية :

١) إنشاء جامعة للقرآن الكريم والعلوم الإسلامية تضم مختلف التخصصات .

٢) إنشاء معمل صوتي ومرئي لمساعدة الطلاب على إتقان التطبيقات القرآنية وتمكينهم من مهارات استخدام الحاسوب ، وتزويدهم بلغة أجنبية .

٣) إصدار حولية علمية سنوية .

٤) إنشاء فرع للكلية في بعض محافظات الجمهورية .

٥) إنشاء مكتبة للمخطوطات القرآنية .

٦) توفير المواصلات لطلبة الكلية .

٧) تحسين وضع القسم الداخلي للطلاب من حيث السكن والتغذية ، حيث تقدم الوجبات حالياً في مستوى الضرورة .

٨) تأهيل مجموعة من خريجي الكلية من خلال ابتعاثهم لدرجة الماجستير والدكتوراه ليعودوا أعضاء عاملين بهيئة التدريس بالكلية .

القلق – أسبابه وعلاجه في ضوء القرآن الكريم

د. صالح يحيى صواب

القلق – أسبابه وعلاجه
في ضوء القرآن الكريم

د. صالح يحيى صواب
كلية الآداب – جامعة صنعاء

مقدمـــــــة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصـــحبه أجمعين، وبعد :

يتكون الإنسان من عنصرين أساسيين، أحدهما: العنصر المـــادي، المتمثـــل في جسم الإنسان وأعضائه، والثاني: العنصر الروحي.

وهما عنصران هامان، لا تستقيم حياة المرء إلا بصلاحهما، ولكل من هـــذين العنصرين غذاؤه ودواؤه الذي يصلحه ويحفظ له توازنه، فإذا فقـــد هـــذا الغـــذاء والدواء حدث خلل في تكوين الإنسان، فيشقى في هذه الحياة، إما شقاء ماديـــا، يتمثل في الأمراض والعاهات والآفات التي تصيب جسمه، أو شقاء معنويا، يتمثـــل في القلق والضيق وفقدان السعادة الحقيقية.

وعامة بني آدم يدركون الأسباب التي تؤدي إلى الإضرار بجســـم الإنســـان، ويتجنبون هذه الأسباب، ويسعى كل واحد إلى حفظ نفسه من الآفات الضارة به، وإذا ما أصيب الجسم بشيء من الآلام فإن هذه الآلام تكون معروفة غالبا، ولها ما يناسبها من العلاج أو ما يخفف هذه الآلام.

إلا أن كثيرا من الناس لا يدركون الآفات التي تصيب الروح، ولا يستطيعون معرفة الأسباب التي تؤدي إلى شقائها، مع معاناتهم الشديدة من هذه الأمراض.

وما من أحد من البشر إلا وهو يبحث عن السعادة، وقليلٌ هم الذين يدركون مكامن السعادة، ويحرصون عليها، أما الآخرون فقد أخطأوا الطريق في البحث عن السعادة، فطلبوها في غير مكانها.

واليوم نجد العالم يعاني من معضلة تتمثل في شقاء كثير من الناس، وضيقه في هذه الحياة، وقد يجهد نفسه في البحث يمينا وشمالا عن أسباب السعادة فلا يجدها، ولا يذوق لها طعما، حتى انتشرت الأمراض النفسية في كثير من المجتمعات، وبلغت في بعضها نسبة عالية لا يتوقعها الكثير، وانتشر القلق بين كثير من البشر.

وترتب على ذلك آثار كبيرة، ذلك أن القلق يحطم الأجساد والعقول، ويتسبب في كثير من الأمراض الجسمية – كأمراض القلب، وضغط الدم – التي لها علاقة وطيدة بهذه الظاهرة، ويعتبر القلق سببا رئيسا من أسبابها، وليت الأمر يقف عند هذا الحد، ولكن عندما يعجز الإنسان عن العثور على السعادة، فإن أسهل ما يقوم عليه – في البلاد الكافرة – أن يقتل نفسه منتحرا، ليثبت للآخرين ما يعتقده من أن الموت خير من الحياة بهذه الطريقة، أما في بلاد المسلمين فإن كثيرا منهم يصاب باليأس والإحباط والقلق، الأمر الذي يؤدي إلى تعطيل هذه الطاقات وإصابتها بكثير من الأمراض بما في ذلك الأمراض العقلية والعصبية والنفسية.

ولا شك أن للقلق آثارا سلبية، سواء كان ذلك يتمثل في آثاره النفسية أو الصحية، أو غيرها، وقد يكون متعلقا بالفرد، وقد يتعداه إلى من حوله من الأسرة.

فالقلق يؤثر على تفكير الإنسان وتركيزه، ويشعر أثناءه بعدم الطمأنينة والاستقرار، مما يكون له مردود سلبي على حياة الإنسان الأسرية والاجتماعية،

وضعف التحصيل الدراسي والعلمي، وضعف الإنتاج، ويصبح الإنسان القلق مصابا بالإحباط، وعدم الثقة بالله عز وجل، أو الثقة بنفسه أو بالآخرين من حوله.

ومع أن الأطباء في العصر الحديث قد حاولوا أن يجدوا علاجا لهذه الظاهرة، سواء كان ذلك عن طريق العقاقير الطبية، أو العلاج النفسي بمختلف أساليبه، إلا أنهم فشلوا في القضاء على هذا المرض؛ لأنهم لم يقفوا على الأسباب الحقيقية لهذا المرض.

ومن المسلّم به أن أعلم الناس بالشيء صانعه وموجده، وخالق الإنسان هو الله سبحانه وتعالى وهو الذي يعلم كل شيء عن الإنسان (ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير) [الملك: ١٤]، وكفى بعلمه سبحانه وتعالى.

وقد كتب عدد من علماء الإسلام – رحمهم الله – عن القلق، لكنها لم تكن كتابة مستقلة تحت هذا العنوان، وإنما كتبوا عن مباحث جزئية متعلقة ببعض أسباب القلق وعلاجه، ومن ذلك ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في كتابه الفتاوى، في المجلد العاشر المتعلق بعلم السلوك، وما كتبه ابن القيم – رحمه الله – في كتابه: "الداء والدواء" أو "الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي"، وما كتبه الإمام الغزالي في كتابه: "إحياء علوم الدين".

كما كتب عدد من المعاصرين عن هذا الموضوع، ومن أفضل من كتب في ذلك الشيخ/ عائض بن عبدالله القرني، في كتابه "لا تحزن"، والشيخ/ محمد الغزالي، في كتابه: "جدد حياتك".

وقد رأيت أن أكتب هذا البحث المختصر؛ لأنني لم أقف على دراسة لموضوع "القلق" من منظور إسلامي، كما أنني قمت بدراسة الموضوع من خلال القرآن

الكريم، خلافا للأبحاث الأخرى، فرأيت أن يكون عنوانه: "القلق، أسبابه وعلاجه في ضوء القرآن الكريم".

ولقد أنزل الله عز وجل القرآن هداية للناس وشفاء لهم، كما قال سبحانه: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) [الإسراء: ٨٢].

وقد بين القرآن الكريم داء الإنسان ودواءه، وفي هذا البحث نقف – إن شاء الله – على أسباب القلق وعلاجه من خلال القرآن الكريم.

ولا شك أن البحث في هذا الموضوع واسع ومتشعب، ولكنني سأحاول التركيز على أبرز عناصر الموضوع، دون الاستطراد في شرح كثير من القضايا، وقد جعلت دراسة هذا الموضوع في مباحث ثلاثة :

المبحث الأول: حديث القرآن عن القلق.

المبحث الثاني: أسباب القلق.

المبحث الثالث: علاج القلق.

أسأل الله تعالى أن ينفع بما كتبت، وأن يعفو عن الزلة والخطأ، هو ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

المبحث الأول : حديث القرآن عن القلق ..

الإسلام دين الحق والفطرة، وفيه هداية للبشرية وسعادة لها في الدنيا والآخرة، ولذلك دعا الإسلام إلى كل ما فيه سعادة الإنسان وحث عليه، ونهى عن كل ما فيه ضرر وشقاء على العبد، وحذر منه.

وقد ورد في القرآن الحديث عن القلق والحزن، ويحسن بنا قبل أن نذكر حديث القرآن عن القلق، أن نذكر معنى كل من الحزن والقلق، والعلاقة بينهما.

يقول الفيروزآبادي: "الحزن: - بالضم ويحرّك – الهم[١].

ويقول أيضا: "القلق – محركة – الانزعاج"[٢].

ويعرف الراغب الأصفهاني الحزن بأنه: "خشونة في النفس؛ لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح"[٣].

وإذا أردنا الحديث عن القلق فإنه لا يمكن الحديث عنه دون أن نتحدث عن الحزن؛ ولا يمكن الفصل بينهما، إلا أنني جعلت عنوان البحث: "القلق"؛ لأن الحديث لا يتعلق بأسباب الحزن وعلاجه، إذ الحزن أمرٌ خارج عن إرادة الإنسان، يقول الراغب: "وقوله تعالى: (ولا تحزنوا) [آل عمران: ١٣٩]، (ولا تحزن) [النمل: ٧٠]، فليس ذلك بنهي عن تحصيل الحزن، فالحزن ليس يحصل بالاختيار، ولكن النهي في الحقيقة إنما هو عن تعاطي ما يورث الحزن واكتسابه"[٤].

كما أن الإنسان قد يحزن فيكون الحزن سببا في قلقه، وقد يحزن لكن ذلك لا يؤدي إلى القلق.

ويمكن القول إن القلق – وهو الانزعاج – له أسباب كثيرة، فقد يكون ناتجا عن الحزن، وقد يكون ناتجا عن الخوف، وقد ينتج عن الجهل أو عدم الرضى، أو غير ذلك.

ولم يرد ذكر القلق بهذا اللفظ في القرآن الكريم، وإنما ورد ذكر أحوال القلقين المتزعجين، وأحوال المطمئنين.

---

[١] القاموس المحيط ص١٥٣٥ (حزن).

[٢] القاموس المحيط ص١١٨٩ (قلق).

[٣] المفردات في غريب القرآن ص١٢٣ (حزن).

[٤] المفردات في غريب القرآن ص١٢٣ (حزن).

وقد يصعب على الإنسان أن يتخلى عن كل من الحزن والقلق، إلا أن من ذلك ما هو ممدوح أو مباح، ومنه ما هو مذموم.

فالحزن على فوات الطاعة أو عدم القدرة عليها أمر ممدوح، قال سبحانه في رفع الحرج عن العاجزين عن الجهاد: (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون) [التوبة: ٩٢].

ومن الحزن ما هو جبلّي، لا يستطيع الإنسان مقاومته، كما حصل من يعقوب – عليه السلام – لفقد يوسف وبعده عنه، قال سبحانه: (قال إني ليحزنني أن تذهبوا به) [يوسف: ١٣]، وقال سبحانه: (قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله) [يوسف – ٨٦].

ومثل ذلك القلق، فقد يكون طبيعيا، ناتجا عن مواقف تعرض لها الفرد تثير لديه القلق، كالقلق من الامتحان مثلا، وقلق الوالدين على ولدهما عند شعورهما بخطر يهدده، أو نحو ذلك من المواقف الصعبة.

ومن الحزن ما نهى الله سبحانه وتعالى عنه، كما في قوله: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ١٢٩]، وقال سبحانه: (ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) [النحل: ١٢٧].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأما (الحزن) فلم يأمر الله به ولا رسوله، بل قد نهى عنه في مواضع، وإن تعلق بأمر الدين، كقوله تعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ١٢٩]، وقوله: (ولا تحزن عليهم

ولا تك في ضيق مما يمكرون) [النحل: ١٢٧]، وقوله: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) [التوبة: ٤٠]، وقوله: (ولا يحزنك قولهم) [يونس: ٦٥]، وقوله: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) [الحديد: ٢٣]، وأمثال ذلك كثير.

وذلك لأنه لا يجلب منفعة ولا يدفع مضرة، فلا فائدة فيه، وما لا فائدة فيه لا يأمر الله به، نعم لا يأثم صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرّم، كما يحزن على المصائب، كما قال النبي ﷺ : "إن الله لا يؤاخذ على دمع العين ولا على حزن القلب، ولكن يؤاخذ على هذا أو يرحم"[١] وأشار بيده إلى لسانه، وقال ﷺ : "تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي الرب"[٢].

ومنه قوله تعالى: (وتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) [يوسف: ٨٤].

وقد يقترن بالحزن ما يثاب صاحبه عليه ويحمد عليه فيكون محمودا من تلك الجهة لا من جهة الحزن، كالحزين على مصيبة في دينه، وعلى مصائب المسلمين عموما، فهذا يثاب على ما في قلبه من حب الخير وبغض الشر وتوابع ذلك، ولكن الحزن على ذلك إذا أفضى إلى ترك مأمور من الصبر والجهاد وجلب منفعة ودفع مضرة نهي عنه، وإلا كان حسب صاحبه رفع الإثم عنه من جهة الحزن.

---

[١] صحيح البخاري ١/٤٣٩، كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض، ومسلم ٢/٦٣٦، كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت.

[٢] صحيح البخاري ١/٤٣٩، كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ إنا بك لمحزونون، وصحيح مسلم ٤/١٨٠٧، كتاب الفضائل، باب رحمته العيال وتواضعه.

وأما إن أفضى إلى ضعف القلب واشتغاله به عن فعل ما أمر الله ورسوله به كان مذموما عليه من تلك الجهة، وإن كان محمودا من جهة أخرى"[١].اهـ.

وقد تحدث القرآن عن القلق من جوانب كثيرة، ويمكن أن نذكر حديث القرآن عن القلق في الجوانب الآتية:

١ – ذكر القرآن أن القلق قد يساور الإنسان ويصحبه، وهو أمر فطري لا يلام عليه الإنسان؛ وقد حكى القرآن عددا من الأخبار التي تدل على شيء من الضيق والانزعاج والقلق، وقد حصل ذلك من عدد من الأنبياء والصالحين.

وقد خاطب سبحانه نبيه محمدا ﷺ بقوله: (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) [الحجر: ٩٧].

ومن ذلك ما حكاه الله سبحانه عن أم موسى – عليه السلام – بعد أن وضعته في اليم، قال سبحانه: (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) [القصص: ١٠].

يقول ابن كثير رحمه الله: "أصبح فارغا، أي: من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى، (إن كادت لتبدي به) أي: إن كادت من شدة وجدها وحزنها وأسفها لتُظهر أنه ذهب لها ولد، وتخبر بحالها لولا أن ثبتها الله وصبّرها"[٢].

وكذلك يعقوب – عليه السلام – فقد وصل به الحال إلى أن ابيضت عيناه، مما أصابه على فراق يوسف عليه السلام، وبقي يتطلع لعودته وملاقاته، كما قال

---

[١] مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/١٧،١٦ .

[٢] تفسير القرآن العظيم ٦/٢٣٣ .

سبحانه: (وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم) [يوسف: ٨٤].

ولما جاءت رسل الله – الملائكة – إلى لوط عليه السلام، وهو يعتقد أنهم بشر، ساءه مجيئهم، وانزعج وضاق صدره بذلك، لأنه خشي عليهم من قومه، قال سبحانه وتعالى: (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب)[هود:٧٧].

ومما ذكره القرآن أيضا: ما جاء في قصة المخلّفين الثلاثة: (كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم) فقد وصل بهم الحال إلى أن ضاقت بهم الأرض مع سعتها، قال سبحانه في ذكر التوبة عليهم: (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا، إن الله هو التواب الرحيم) [التوبة: ١١٨].

قال الفخر الرازي: "(وضاقت عليهم أنفسهم): المراد ضيق صدورهم بسبب الهم والغم، ومجانبة الأولياء والأحباء، ونظر الناس لهم بعين الإهانة"[١].

وكل ما ذكر أمر طبعي؛ لأن الإنسان لا يملك إزالته، وهو خارج عن قدرته وإرادته.

٢ – نهى القرآن عن الخوف والحزن، اللذين يمكن أن يكونا سببا في قلق الإنسان، فينبغي للإنسان ألا يحزن وألا يخاف، ومما ذكره القرآن في ذلك:

---

[١] التفسير الكبير ١٦/١٧٣ .

عند مواجهة المسلمين للعدو، وخوفهم من الهزيمة أمامهم، فلا ينبغي لهم أن يحزنوا، قال سبحانه وتعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ١٣٩].

وعندما يسمع المسلم كلاما يسوءه، من سب أو شتم أو استهزاء أو غير ذلك من القول فلا ينبغي له أن يحزن، ولذلك خاطب الله عز وجل رسوله بقوله: (ولا يحزنك قولهم، إن العزة لله جميعا هو السميع العليم) [يونس: ٦٥].

وإذا ما وقع المسلم في أمر عصيب، أيّا كان هذا الأمر، فلا ينبغي أن يجد الحزن إلى قلبه طريقا، بل يجب أن يتحمل ويفوض الأمر لله سبحانه وتعالى، وهاهي مريم – عليها السلام – وهي تعاني من مشكلة حملها ووضعها لعيسى – عليه السلام – من غير أب، فتحمل ذلك الهم، – وهو هم كبير – وتتمنى أنها قد ماتت قبل أن يحصل ذلك الأمر، ومع ذلك يناديها الملك، ويطلب منها عدم الحزن، كما حكى الله سبحانه بقوله: (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا، فناداها من تحتها ألا تحزني) [مريم: ٢٣،٢٤].

وهاهي أم موسى، وهي ترقب مصير ابنها موسى بعد ولادته، وهو مهدد بالذبح من قبل فرعون وجنوده، فيأتيها الأمر من السماء: (فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) [القصص : ٧].

وقد كان النبي ﷺ يستعيذ من الهم والحزن، كما روى أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل.." الحديث[١].

٣ – القرآن يحث على الصبر ويعظم شأن الصابرين..

ورد الحث على الصبر في كتاب الله في مواضع كثيرة، وامتدح الله الصابرين من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فأمر سبحانه وتعالى بالصبر في غير موضع، كما في قوله سبحانه: (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) [البقرة: ١٧٧]، وقوله عز وجل: (واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [هود: ١١٥]، وقوله: (واصبروا إن الله مع الصابرين) [الأنفال: ٤٦]، وبين سبحانه عظم أجر الصابرين، فقال سبحانه: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [يوسف: ٩٠]، وقال سبحانه: (ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) [النحل: ٩٦]، وقال سبحانه: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [الزمر: ١٠]، فأخبر سبحانه وتعالى أن هذا الأجر لا حدود له، ولا حصر.. كما وردت البشارة للصابرين، وأخبر سبحانه وتعالى أنه يحبهم، (وبشر الصابرين) [البقرة: ١٥٥]، (والله يحب الصابرين) [آل عمران: ١٤٦]، وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى.

وكل ما ورد من الأمر بالصبر والحث عليه، وبيان أجر صاحبه والبشارة له، والإخبار عن محبة الله له، لا شك أنه يشجع على مقاومة الحزن والقلق، وينمي

[١] أخرجه البخاري ٣/١٠٥٩، كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة.

لدى المسلم القدرة على مواجهة الشدائد والصعاب دون استسلام لها، ومن ثم فالصبر من أهم الأسباب التي تدفع القلق عن الإنسان.

٤ – بين القرآن كثيرا من الحقائق التي تحول بين الإنسان وبين القلق وتبعده عنه، ومن هذه الحقائق على سبيل التمثيل لا الحصر:

أ – بيان أن كل شيء بقضاء الله وقدره وأنه مكتوب قبل خلق الإنسان.

ب – توضيح أسباب الشقاء وأسباب السعادة.

ج – بيان حقيقة السعادة والشقاء، فالسعادة لا تتمثل في حصول أمر دنيوي، والشقاوة لا تتمثل في حصول المصائب الدنيوية أو فوائد المصالح، وإنما تكون السعادة الحقيقية بدخول الجنة، وتكون الشقاوة الحقيقية بدخول النار – أعاذنا الله تعالى منها – قال سبحانه: (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) [آل عمران: ١٨٥]، وقال سبحانه: (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين) [الزمر: ١٥].

وسيأتي الحديث عن هذه الأمور عند حديثنا عن علاج القلق.

٥ – النهي عن الأسباب التي يمكن أن تكون سببا في قلق الإنسان..

مما يلاحظه المتأمل لكتاب الله تعالى أن الله سبحانه نهى عن تعاطي الأسباب التي تجعل الإنسان عرضة للقلق، فلا ينبغي للإنسان أن يتحمل فوق طاقته، ومن رحمة الله سبحانه لعباده أنه لم يحملهم فوق ما يطيقون (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) [البقرة: ٢٨٦]، ولذلك خاطب الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ في غير آية، ونهاه

عن ملابسة الأسباب التي تؤدي إلى القلق، سواء كان هذه الأمور تتعلق بالدنيا ومتاعها، أو تتعلق بأمور الدعوة واستجابة الناس إليها.

فأما في أمور الدنيا، فقد نهى الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ عن التطلع إلى متاعها، قال سبحانه: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه، ورزق ربك خير وأبقى) [طه: ١٣١].

وحتى فيما يتعلق بالدعوة إلى الإسلام، فقد وجه الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ إلى عدم التحسر على ما يراه من صدودٍ عن الدين، قال سبحانه: (لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) [الشعراء: ٣]، وقال سبحانه: (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) [فاطر: ٨].

ولما علم سبحانه وتعالى أسف النبي ﷺ على عدم هدايته قومه، وشدة تطلعه إلى هدايتهم، وعدم تحمله للأمر الواقع خاطبه سبحانه بقوله.. (وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء، فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين) [الأنعام: ٣٥].

هذه بعض الأسس والتوجيهات في حديث القرآن عن القلق، وهي تجعل المسلم الملتزم لتعاليم القرآن رجلا واثقا بالله تعالى، لا يعرف اليأس والحزن، ولا يجد القلق إليه سبيلا؛ لأنه يهتدي بهدي القرآن، ويسير على منهج الرحمن سبحانه وتعالى، وحري به أن يكون سعيدا في حياته في ظل هذا الهدي الرباني العظيم.

المبحث الثاني : أسباب القلق :

للقلق أسباب وعوامل كثيرة، وتختلف هذه الأسباب في التأثير على الإنسان قوة وضعفا، وذلك ناتج عن عوامل متعددة، قد يكون هذا الاختلاف بحسب تعدد الأسباب وانفرادها، أو بحسب ما يحمله الإنسان من مفاهيم وتجارب في هذه الحياة، كما أن الناس يختلفون في قوة تحملهم لهذه العوامل.

وقد تحدث القرآن عن الأسباب التي تؤدي إلى القلق، ومن أبرز الأسباب التي تؤدي إلى القلق ما يلي:

١ – الكفر بالله تعالى.

٢ – عدم الإيمان بالقضاء والقدر.

٣ – معصية الله عز وجل.

٤ – الإعراض عن ذكر الله .

٥ – الجزع وعدم الرضا.

٦ – الاعتماد على الأسباب المادية والركون إليها.

٧ – الطمع في الدنيا والتعلق بها.

٨– الغل والحسد.

٩ – اللجوء إلى غير الله.

وسوف نتحدث عن هذه الأسباب بشيء من التفصيل..

١ – الكفر بالله تعالى:

وهذا هو أعظم الأسباب وأقواها، ذلك أن الكفر ظلمات، والكافر يتخبط في هذه الظلمات، لا يدري أين يسير، ولا يدري إن كان في حياته آمنا أم أنه يعيش في المخاطر، وهو مستمر في هذه الظلمات، ومع ذلك فقد عطّل جميع حواسه من

سمع وبصر وعقل ومنطق، لا يستفيد منها ولا يستعملها لتدله على الطريق الصحيح، فكيف يمكن أن يطمئن من هذا حاله؟ يقول سبحانه عن الكفار: (صم بكم عمي فهم لا يرجعون) [البقرة: ١٨]، ويقول سبحانه: (والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات) [الأنعام: ٣٩].. فهل بعد ذلك يرجو أحد أن يتساوى هؤلاء مع المؤمنين الذين يسيرون في النور، ويعرفون ما هم فيه من خير (قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور) [الرعد: ١٦]، كلا إنهما لا يستويان، يقول سبحانه: (وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور) [فاطر: ١٩،٢٠].

إن الكفر طريق إلى الخوف والحزن والقلق والرعب الملازم للشخص، وصدق الله إذ يقول: (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) [آل عمران: ١٥١].

وقد أخبر سبحانه وتعالى أن القلق وضيق الصدر لدى الكافر يبلغ أشد مراتبه وأقواها بسبب الكفر والضلال، قال سبحانه: (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعّد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) [الأنعام: ١٢٥].

ولقد استطاع كثير من الكفار أن يحققوا أسباب السعادة المادية بأنواعها المختلفة، وشهواتها المتعددة، إلا أنهم لم يستطيعوا التخلص من القلق لأنهم لم يشاهدوا نور الإيمان، ولذلك نجد أن الانتحار ظاهرة من الظواهر المتكررة في البلاد

الكافرة؛ لأنهم ابتعدوا عن منهج الله تعالى، فلم يعرفوا هدفهم في هذه الحياة، ولم يعرفوا ماذا يريدون وإلى أين هم ذاهبون.

٢ – عدم الإيمان بالقضاء والقدر..

من الأسباب الهامة التي تؤدي إلى شقاء الإنسان وتعكير حياته: عدم الإيمان بالقضاء والقدر، ذلك أنه لا يعلم السر والحكمة في قضاء الله وقدره، ومن ثَمّ فهو ينظر إلى الحوادث نظرة سطحية قاصرة، يظن أن العطاء دليل الرضا والسعادة، وأن المنع دليل السخط والشقاء، وينسى أن كلا الأمرين ابتلاء، فالله سبحانه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ويمنعها عمن يحب وعمن لا يحب، لكن جهل الإنسان بذلك يجعله يعتقد أن العطاء دليل الإكرام، وأن المنع دليل الإهانة، يقول سبحانه: (فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعّمه فيقول ربي أكرمن، وأما إذا ما ابتلاه فقدَر عليه رزقه فيقول ربي أهانن)[الفجر:١٦،١٥].

إذا لم يؤمن الإنسان بالقضاء والقدر فإن قلبه يبقى معلقا بالحوادث، ما الذي سيكون؟ وكيف سيكون؟ ولماذا فاته هذا الخير؟ ولماذا أصابه هذا الشر؟ وكيف السبيل إلى إدراك ما لم يدركه؟ وكيف يمكن الاحتراز من المصائب القادمة؟ وما الذي سيكون في الأيام المقبلة؟ .. وهكذا، فيدخل في نفق مظلم من التساؤلات والشكوك التي يحيط بها القلق والخوف من المستقبل والحزن على ما فات وما ذاك إلا لعدم الإيمان بقضاء الله وقدره.

ومن أبرز المسائل التي يجب التسليم فيها لقضاء الله وقدره:

أ – الخوف على الحياة.

فالحياة والموت بيد الله سبحانه وتعالى، والآجال محدودة عند الله عز وجل، وكثير من الناس يخشون الموت ويخافون منه، فهم في قلق دائم، ولو أيقنوا أن ذلك بيد الله سبحانه لما جزعوا.

وانظر إلى حال المنافقين الذين لا يؤمنون بالقضاء والقدر، كيف يعانون وقت الشدة، فيذهبون في تفكيرهم كل مذهب، ويحملون الهموم، يقول الله سبحانه: (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء، قل إن الأمر كله لله، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قُتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) [آل عمران: ١٥٤].

وقال سبحانه: (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا، قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) [آل عمران: ١٦٨].

لقد كان عدم الإيمان بالقضاء والقدر سببا في قعود هؤلاء القوم عن الجهاد، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل ندموا وتأسفوا على خروج إخوانهم إلى الجهاد؛ ظنا منهم أن الأسباب وحدها كافية في موت الإنسان، فبقوا في حيرة وقلق، ونسوا أن كل شيء بقضاء الله وقدره، وأن الموت آت لا محالة، في الوقت الذي قدّره الله سبحانه وتعالى.

ب – الخوف على الرزق :

وهذا سبب آخر من أسباب القلق، فكثير ممن لا يؤمنون بالله تعالى أو ممن ضعف إيمانهم، يتعبون أنفسهم ويرهقونها في البحث عن مصادر الرزق، ويظنون أن أمر الرزق بأيديهم، فإذا قصروا في طلبه فاتهم الرزق، وما علموا أن الأرزاق بيد الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى يقول: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) [هود : ٦]، ويقول سبحانه: (إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [الذاريات: ٥٨].

ج – القلق من وقوع المصائب:

فإذا ما أصاب الإنسان مصيبة من مرض، أو فوات مال أو خسارة أهل أو صديق، فإنه يحمل الهم بسبب هذه المصيبة، مع أن كل شيء يقع في هذا الكون بتقدير الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه يقول: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) [التغابن: ١١]، ويقول سبحانه: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا) [التوبة: ٥١]، ويقول سبحانه: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) [الحديد: ٢٢].

٣ – معصية الله عز وجل :

من أسباب الشقاء والقلق: معصية الله تعالى، والمعصية تورث الظلمة في القلب، كما قال سبحانه: (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) [المطففين:

١٤]، وإذا عمي القلب لم ير من السعادة شيئا، وأنّى لامرئ أن يجد السعادة وقد عصى ربه وعاداه.

إن العبد إذا عصى الله سبحانه وتعالى فإنه يخذله، ولذلك يقول سبحانه: (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) [الحشر: ١٩].

والمعاصي طريق إلى الشقاء وسبب من أسبابها، كما قال سبحانه: (وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) [الليل: ٨-١٠].

وإنما يصيب الإنسان ما يصيبه من المعاصي بسبب ذنوبه وأخطائه، كما قال سبحانه: (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) [النساء: ٧٩]، وقال سبحانه: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) [الشورى: ٣٠].

وإذا زاغ الإنسان عن منهج الله وانحرف زاده الله زيغا وضلالا، وأصبح يتيه في ظلمات غير متناهية، يسير في هذه الحياة حيران مضطربا، كما قال عز وجل: (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين) [الصف: ٥].

بل إن الأمر أشد من ذلك، فالعاصي محارب لله عز وجل، وكيف يجد حلاوة العيش من حارب الله ورسوله، يقول الله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) [البقرة: ٢٧٨،٢٧٩].

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : "إن الله تعالى قال: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"[١].

وإذا كانت معاداة أولياء الله سببا في حرب العبد لربه، فكيف يكون الحال بمن ارتكب مختلف المعاصي والذنوب، وتحمل الكثير، لا شك أن الحرب أشد، وأن الآثار الناتجة عن ذلك من ضيق وجزع تكون كبيرة جدا..

يقول ابن القيم – رحمه الله – في حديثه عن آثار المعاصي:

"ومنها: وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلا، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تَفِ بتلك الوحشة، وهذا أمر لا يحس به إلا من في قلبه حياة...

ومنها: الوحشة التي تحصل بينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، فإنه يجد وحشة بينه وبينهم، وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم، وحرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه، فتراه مستوحشا من نفسه"[٢].

إن كثيرا من الناس لا يدركون أسباب هذه الوحشة، فيتخبطون في ظلمات المعاصي بحثا عن السعادة ولا يزدادون إلا بعدا وشقاء، فيعيشون في شقاء أبدي لا نهاية له، ماداموا مستمرين على المعاصي.

٤ – الإعراض عن ذكر الله :

ومن أسباب الشقاء: الإعراض عن ذكر الله ...

---

[١] صحيح البخاري ٥/٢٣٨٤ كتاب الرقاق، باب التواضع.

[٢] الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ص٤٩،٤٨ .

إن للقلب غذاء، وهذا الغذاء هو ذكر الله سبحانه وتعالى لا يعيش القلب عيشة صحيحة إلا به، فإذا ترك العبد ذكر الله تعالى أصابه الهم والغم، وعاش في قلق وضيق، ومصداق ذلك في كتاب الله تعالى، قال سبحانه: (فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) [طه: ١٢٤،١٢٣].

إنها حياة الضيق والضنك، بسبب الإعراض عن ذكر الله تعالى، إن الإعراض عن ذكر الله عز وجل موتٌ للقلب، وأنى لقلب ميت أن يشعر بالسعادة والاطمئنان، وقد جاء في الحديث عن أبي موسى - رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت"[١].

إن القلب الميت لا يشعر بالألم فكيف يشعر بلذة السعادة، وأيّ سعادة يمكن أن تكون لقلب لا يعرف خالقه ورازقه، وأي سعادة يمكن أن تكون لقلب لا علاقة له بمالك السعادة وواهبها للبشرية جمعاء.

٥ – الجزع وعدم الرضا :

من أسباب القلق: الجزع وعدم الرضا بما قسمه الله تعالى للعبد.

ومن الناس من يسخط ويجزع عند نزول المصائب والابتلاءات فلا يزال في هم وكدر، قال تعالى: (إن الإنسان خلق هلوعا، إذا مسه الشر جزوعا) [المعارج: ١٩،٢٠]، وربما كان ذلك التسخط والجزع لأتفه الأسباب، أو لفوات متاع قليل من الدنيا، وقد وصف الله تعالى المنافقين بأنهم يرضون عند إعطائهم من الصدقات،

[١] أخرجه البخاري ٥/٢٣٥٣ كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل.

ويسخطون عند منعهم منها، كما قال سبحانه: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) [التوبة: ٥٨].

والتسخط لا يجلب للعبد إلا مزيدا من المتاعب والآلام النفسية، وفي الحديث عن أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط"[1].

فالتسخط وعدم الرضا يؤدي – والعياذ بالله – إلى سخط الله تعالى، وكيف لعبد سخط الله عليه أن يعيش في سعادة وطمأنينة؟ وما ذلك إلا نتيجة لعدم رضاه بما قسمه الله تعالى، فعلى المرء أن يرضى بما قسمه الله تعالى له، وأن يعيش سعيدا راضيا بما كتبه الله تعالى له، بعيدا عن مظاهر الجزع والسخط.

٦ – الاعتماد على الأسباب المادية والركون إليها:

من سنن الله سبحانه وتعالى أن هيأ للمقادير أسبابا، فللحياة أسبابها وللموت أسبابه، وكذلك الغنى والفقر، والصحة والمرض، والنصر والهزيمة، وغير ذلك من الأمور التي لها علاقة بالأسباب.. وقد أمر الله عز وجل باتخاذ الأسباب، فقال: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) [الأنفال: ٦٠].

لكن هذه الأسباب لا تكفي لتحقيق النتائج التي يتوقعها الإنسان، وإنما هي أسباب، والأمر – بعد ذلك – بيد الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يدبر الأمور، وهو خالق الأسباب والمسببات.

---

[1] رواه الترمذي ٤/٦٠١، كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، وابن ماجه ٢/١٣٣٨، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وعندما يركن الإنسان إلى الأسباب ويعتمد عليها فإن الله تعالى يكله إلى هذه الأسباب، وربما خذله ولم يحقق له مقصوده، لكي يتيقن الإنسان أن الأمور أولا وأخيرا بيد الله سبحانه وتعالى، وأنه المتصرف في جميع الأحوال، فيتجه إلى الله عز وجل وحده.

ولقد ركن المسلمون في غزوة حنين إلى كثرة عددهم، وظنوا أن ذلك سبب في نصرهم، فعلمّهم الله عز وجل درسا يذكرهم بخطورة الركون إلى الأسباب المادية، والاعتماد عليها، فهزموا في أول الأمر، حتى علموا أن الكثرة لا تغني – وحدها – شيئا، وإنما يكون النصر بنصر الله سبحانه وتعالى لهم، قال الله عز وجل: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت) [التوبة: ٢٥].

إن الذي يركن إلى الله عز وجل يبقى واثقا مطمئنا؛ لأنه قد اعتمد على الله عز وجل، أما الذي يركن على الأسباب المادية ويعتمد عليها، فإن قلبه يبقى معلقا بها، وهي أسباب لا تغني عنه شيئا، فيعيش في قلق وحيرة، ويضيق صدره، ويشعر أن الأرض كلها لا تسعه؛ لأنه اعتمد على غير الله تعالى.

فليكن اعتماد العبد وركونه – أولا وأخيرا – على الله سبحانه وتعالى، فإنه نعم المولى ونعم النصير.

٧ – الطمع في الدنيا والتعلق بها :

الطمع في الدنيا والتعلق بها داء قاتل، يؤدي إلى تعاسة المرء وشقائه في هذه الحياة، فلا يزال قلبه مشغولا بها، لا يفكر إلا فيها، فتعظم الدنيا في قلبه مع أنها صغيرة، وإذا فاته شيء من الدنيا ندم عليه، وانشغل به باله، وأصبح في هم وقلق،

وفي كل خطوة من خطواته وعمل من أعماله يفكر في مجيء الدنيا وذهابها فلا همّ له إلا الدنيا، فيحمّل نفسه ما لا طاقة له به فيبقى في شقاء، وربما سهر الليالي وهو يفكر من أجلها، فيعيش من أجل الدنيا ويموت من أجلها، ولذلك نهى سبحانه وتعالى عن التعلق بالدنيا وزينتها، فقال سبحانه: (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين) [الحجر: ٨٨]، وقال تعالى: (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) [طه: ١٣١]

وإنما سقط الكفار في مهاوي الضلالة والردى بسبب حبهم للدنيا وتعلقهم بها، فكان ذلك سببا في غضب الله عليهم وسخطه، قال سبحانه: (ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) [النحل: ١٠٦،١٠٧].

وحب الدنيا والتعلق بها سبب من أسباب العذاب في الدنيا، كما قال سبحانه: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) [التوبة: ٥٥]، وقال سبحانه: (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) [التوبة: ٨٥].

يقول الفخر الرازي رحمه الله: "بين الله في هذه الآية أن ما يظنونه من منافع الدنيا فهو في الحقيقة سبب لعذابهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم"[١].

[١] التفسير الكبير ٧٣/١٦ .

ويقول الآلوسي: "وتعذيبهم بالأموال والأولاد في الدنيا؛ لما أنهم يكابدون بجمعها وحفظها المتاعب، ويقاسون فيها الشدائد والمصائب، وليس عندهم من الاعتقاد بثواب الله تعالى ما يهون عليهم ما يجدونه"[١].

٨ – الغل والحسد :

من أسباب القلق: الغل والحسد الذي يحمله بعض الناس في قلوبهم، وطمعهم في أن يحجروا فضل الله تعالى ورحمته على العباد، فإذا أصاب أحد من الناس خيرا آلمهم ذلك وأزعجهم، والله سبحانه وتعالى يقول: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) [النساء: ٥٤].

وما منع اليهود أن يتبعوا النبي ﷺ إلا الحسد، وهم يعلمون أنه نبي الله حقا، وقد ورد خبره في كتبهم (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) [الصف: ٦].

وكذلك المشركون أنكروا أن تنزل الرسالة على محمد ﷺ وحسدوه على ذلك، واعتقدوا أن الأجدر بها غيره، فكان ذلك سببا في شقائهم وبقائهم على الكفر، قال سبحانه: (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم، أهم يقسمون رحمت ربك، نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمت ربك خير مما يجمعون) [الزخرف: ٣١،٣٢].

---

[١] روح المعاني ١١٩/١٠ .

إن القاسم هو الله، والمعطي هو الله، وعلى كل امرئ أن يسلم بذلك، فإذا لم يرض العبد بما قسمه الله للآخرين أشغل نفسه، وملأ قلبه بغضا وحسدا.

والحسد يشعل في القلب نارا لا تنطفئ، وتظل تحرق صاحبها، فلا يشفي الحاسد غليله بتحقيق مقصوده، ولا يرتاح من الهم والقلق.

٩ – اللجوء إلى غير الله :

مما يزيد الإنسان في حياته قلقا وبؤسا اللجوء إلى غير الله سبحانه وتعالى، والاعتماد عليه من دون الله، والله سبحانه وتعالى مالك هذا الكون، المتصرف فيه، وكل شيء بيده سبحانه وتعالى.

وطلب الأشياء التي لا يملكها إلا الله تعالى من غيره سبحانه شرك وضلال، ووسيلة إلى تخبط الإنسان وقلقه..

البعض يبحثون عن حل مشاكلهم على يد الكفار، والله عز وجل يقول: (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا) [النساء: ١٣٩،١٣٨].

وآخرون يطلبونها على يد الكهان والمشعوذين فلا يزيدهم إلا قلقا وكآبة، يقول سبحانه: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [الجن: ٦].

يقول سيد قطب – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية: "والشيطان مسلط على قلوب بني آدم – إلا من اعتصم بالله فهو في نجوة منه – وأما من يركن إليه فهو لا ينفعه، فهو له عدو، إنما يرهقه ويؤذيه، وهؤلاء النفر من الجن يحكون ما كان يحدث: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) ولعل

هذا الرهق هو الضلال والقلق والحيرة التي تنوش قلوب من يركنون إلى عدوهم ولا يعتصمون بالله منه ويستعيذون كما هم مأمورون منذ أبيهم آدم، وما كان بينه وبين إبليس من العداء القديم.

والقلب البشري حين يلجأ إلى غير الله طمعا في نفع أو دفعا لضر، لا يناله إلا القلق والحيرة، وقلة الاستقرار والطمأنينة، وهذا هو الرهق في أسوأ صوره، الرهق الذي لا يشعر معه القلب بأمن ولا راحة.

إن كل شيء – سوى الله – وكل أحد متقلب غير ثابت، ذاهب غير دائم، فإذا تعلق به قلب بقي يتأرجح ويتقلب ويتوقع ويتوجس، وعاد يغير اتجاهه كلما ذهب هذا الذي عقد به رجاءه، والله وحده هو الباقي الذي لا يزول، الحي الذي لا يموت، الدائم الذي لا يتغير، فمن اتجه إليه اتجه إلى المستقر الثابت الذي لا يزول ولا يحول"[١].

ويبقى الطريق الوحيد لقضاء الحاجات وطمأنينة البال، هو الاتجاه إلى الله سبحانه وحده دون سواه من المخلوقين؛ وحينئذ يجد الإنسان الراحة والطمأنينة.

هذه أبرز أسباب القلق التي ورد ذكرها في كتاب الله عز وجل.

وما ذكر في هذه الأسباب لا يعني الحصر والعدّ؛ بل ربما كان فيها شيء من التقارب أو التداخل في بعض عناصرها، وربما كانت هناك أسباب أخرى غير ما ذكرنا لم نقف عليها.

---

[١] في ظلال القرآن ٦/٣٧٢٨ .

المبحث الثالث : علاج القلق :

كان الحديث في المبحث السابق عن الأسباب التي تؤدي إلى القلق، وقد بين القرآن الكريم في مقابل ذلك ما يبعد القلق ويبعث على السكون والطمأنينة، وجاء ذلك في مواضع متفرقة من كتاب الله تعالى، ويمكن أن نذكر أبرز هذه الأسباب فيما يلي :

١ – الإيمان بالله تعالى.

٢ – الإيمان بالقضاء والقدر.

٣ – الإيمان باليوم الآخر.

٤ – التقوى والعمل الصالح.

٥ – الصلاة .

٦ – قراءة القرآن.

٧ – كثرة الذكر.

٨ – الصبر .

٩ – التوكل على الله والثقة به.

١٠ – التفاؤل وعدم اليأس.

١١ – الوقوف على سنن الله تعالى في الحياة.

١٢ – معرفة حقيقة الدنيا وحقارتها وزوالها.

١٣ – إدراك طريقة الإسلام في التعامل مع النفوس.

هذه بعض الأسباب البارزة التي تكون عاملا في السكون والطمأنينة، ومن ثم يزول القلق والانزعاج، وسوف نعرض لهذه الأسباب بشيء من التفصيل..

١ – الإيمان بالله تعالى :

إذا كان الكفر أهم أسباب الشقاء، فإن الإيمان هو أهم أسباب السعادة، ولا يمكن للنفس أن تسعد، ولا يمكن للصدر أن ينشرح ويذهب عنه الغم والحزن إلا بالإيمان بالله تعالى..

إن سعادة الإنسان لا تكمن في حصوله على الدنيا وملذاتها، وإنما تكمن في إيمانه بالله تعالى، وحينئذ ينشرح صدره، (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجا كأنما يصّعّد في السماء) [الأنعام: ١٢٥]، وشتان بين هذا وذاك.

ولقد تكفل الله عز وجل للمؤمنين بالحياة الطيبة في الحياة الدنيا، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم، فقال سبحانه وتعالى: (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) [التغابن: ١١]، وقال سبحانه: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) [النحل: ٩٧].

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد وعد المؤمن بالهداية، والحياة الطيبة، فماذا يريد بعد ذلك؟ وأي مطلب يمكن أن يسعى إليه وقد أسعده الله تعالى وهداه.

إن الإيمان من أهم عوامل السعادة والاطمئنان والسكينة، وبه يزول القلق والكآبة، يقول سبحانه وتعالى: (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) [الفتح: ٤].

إن الإيمان يصنع المعجزات، فيجعل المؤمن راضيا في كل الأحوال، في حال الشدة والرخاء، والعسر واليسر، يقول النبي ﷺ : "عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله

له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا لـــه، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له"[١].

المؤمن سعيد بإيمانه، مهما كانت الظروف والأحوال المحيطة به، لأنه يعلم يقينا أن إيمانه بالله تعالى لا يعادله شيء، وقربه من الله تعالى سبب في نجاتـــه وفـــوزه، ولذلك لا تؤثر عليه الخطوب، ولا تهزه الأحداث، فيجد لذة الإيمان وحلاوته الـــتي لا يعرفها إلا المؤمن، وهي لذة لا تعدلها لذة، ومتعة لا تساويها متعة من متع الحياة الدنيا مهما كثرت، يقول إبراهيم بن أدهم – رحمه الله – وهو يخاطب أبا يوسف الغسولي: "يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلـــت له: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم"[٢].

٢ – الإيمان بالقضاء والقدر :

من أهم أسباب الرضا والسعادة: الإيمان بقضاء الله وقدره، بحيث يعلم المرء أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وليس منه بد، وما أخطأه لم يكن ليصيبه مهما حاول أن يجلبه إليه، فكل شيء بقدر الله سبحانه وتعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر) [القمر: ٤٩]، وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف سنة"[٣].

---

[١] أخرجه مسلم ٤/٢٢٩٥، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره خير كله.

[٢] الزهد الكبير، للبيهقي ٢/٨١، حلية الأولياء للأصبهاني ٧/٣٧١، صفة الصفوة، لابن الجوزي ٤/١٥٤.

[٣] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٤/٢٠٤٤، كتاب القدر، باب حجـــاج آدم وموسى عليهما السلام.

ومن هذه المقادير ما يصيب الإنسان في هذه الحياة الدنيا من مصائب شتى، فمن جهل القدر ولم يؤمن به إيمانا كاملا، انزعج مما أصابه، وحمل نفسه الهموم والمتاعب، وشقي في حياته، ومن علم أن كل شيء بإذن الله تعالى أراح نفسه من ذلك الهم والنصب، يقول سبحانه: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) [التغابن: ١١]، ويقول سبحانه: (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا) [التوبة: ٥١].

وها هو النبي ﷺ معلّم الأمة، الناصح لها، يعلم ابن عباس – رضي الله عنهما – أسس وقواعد الإيمان التي تحمل العبد على الرضا، وتكسب له السعادة في الدنيا والآخرة، فيقول له: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، وجفت الصحف"[1].

يقول الشيخ عائض القرني: في قوله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها) [الحديد: ٢٢]، جفّ القلم، رفعت الصحف، قضي الأمر، كتبت المقادير، (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) [النساء: التوبة: ٥١]، ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

---

[1] رواه الترمذي في سننه ٦٦٧/٤، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك ٦٢٣،٦٢٤/٣.

إن هذه العقيدة إذا رسخت في نفسك وقرت في ضميرك، صارت البلية عطية، والمحنة منحة، وكل الوقائع جوائز وأوسمة، "ومن يرد الله به خيرا يصب منه"، فلا يصبك قلق من مرض، أو موت ابن، أو خسارة مالية، أو احتراق بيت، فإن الباري قد قدّر، والقضاء قد حلّ، والاختيار هكذا، والخيرة لله، والأجر حصل.

ولن تمدأ أعصابك وتسكن بلابل نفسك، وتذهب وساوس صدرك حتى تؤمن بالقضاء والقدر"[١].

وإذا علم المرء ذلك وأدركه سكن قلبه واطمأن، ورضي بما قدره الله عز وجل، وتلذذ بهذا الرضى.

يروى أن سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه – وكان مستجاب الدعوة، كان يدعو للناس فيستجيب الله له، وكان أعمى، فقيل له: لو دعوت الله لبصرك، فقال رضي الله عنه: "قضاء الله أحب إلي من بصري"[٢].

إنه الرضا بقضاء الله سبحانه وقدره، فلا يبالي الإنسان بما حصل له، مادام يعلم أن الله هو أراده وقدره وكتبه.

إن الإنسان بعلمه المحدود قاصر عن إدراك حقيقة الخير والشر، فربما ظن أن في الأمر خيرا له فكان شرا، وقد يكون عكس ذلك، لأن الله وحده هو الذي يعلم أين يكون الخير للإنسان، وكم من الأشياء التي تبدو في ظاهرها خيرا للإنسان لكنها تكون سببا في شقائه، **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** [البقرة: ٢١٦].

---

[١] من كتاب: "لا تحزن" ص٢٥،٢٦ .

[٢] جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ص٣٦٨ .

يقول ابن القيم رحمه الله: "فالإنسان كما وصفه خالقه ظلوم جهول، فلا ينبغي أن يجعل المعيار على ما يضره وينفعه ميله وحبه ونفرته وبغضه، بل المعيار على ذلك ما اختاره الله له بأمره ونهيه .... فمن صحت له معرفة ربه والفقه في أسمائه وصفاته علم يقينا أن المكروهات التي تصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروب من المصالح والمنافع التي لا يحصيها علمه ولا فكرته، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يحب... ومتى ظفر العبد بهذه المعرفة سكن في الدنيا قبل الآخرة في جنة لا يشبه نعيمها إلا نعيم جنة الآخرة، فإنه لا يزال راضيا عن ربه، والرضا جنة الدنيا، ومستراح العارفين"[١].

٣ – الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر قرين الإيمان بالله، وبينهما من التلازم ما لا يخفى، وكثيرا ما يرد في كتاب الله ذكر الإيمان بالله مقرونا بالإيمان باليوم الآخر دون غيره من أركان الإيمان، وشواهد ذلك كثيرة جدا، من ذلك قول الله سبحانه: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة: ١٨]، وقوله: ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ [التوبة: ٤٤]، وقوله: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [الأحزاب: ٢١]، وقوله: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾ [المجادلة: ٢٢]، وغير ذلك كثير في كتاب الله تعالى.

---

[١] الفوائد ص٩١-٩٣ .

إن الإيمان باليوم الآخر من أهم أسباب الرضا والسعادة؛ وفرق شاسع وكبير بين من ينظر إلى السعادة والشقاء من منظور دنيوي محدود، وبين من ينظر إلى الدنيا باعتبارها طريقا إلى الآخرة.

لقد نظر أناس إلى هذه الحياة على أنها غاية، فإذا فاتهم شيء من مطالبهم في هذه الحياة يئسوا وحزنوا، وإذا أصابهم شيء من الشدة في هذه الحياة جزعوا وقنطوا، ولو أنهم نظروا إلى ما يتلو هذه الحياة الدنيا وما فيها من نعيم مقيم أو عذاب أليم، لأدركوا حقيقة السعادة والشقاء، ولتغيرت حالتهم النفسية.

وأيّ سبب جعل الرعيل الأول والسلف الصالح يتحملون التعذيب في الله عز وجل بل ويستعذبونه سوى الإيمان باليوم الآخر، وما الذي جعل الشهادة في سبيل الله والتي هي إزهاق للأرواح وسفك الدماء، ما الذي جعلها مطلوبة لدى المؤمنين سوى الإيمان بالله واليوم الآخر، لأنهم يطمعون في الجنة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقْتُلون ويُقتَلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله؟) [التوبة: ١١١].

إن المؤمن باليوم الآخر وما فيه من جزاء وحساب يدرك أن الدنيا مرحلة من مراحل الحياة، بل هي مرحلة قليلة (فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل) [التوبة: ٣٨].

وعندما يدرك هذه الحقيقة ويتصور الجنة وما فيها من نعيم مقيم، فإنه لا يهمه ما يلقاه في الدنيا من مصاعب أو متاعب أو أذى؛ لأن الحياة الحقيقية هي في الدار

الآخـــــرة (وما هـذه الحيـاة الدنيا إلا لهـو ولعـب،وإن الدار الآخـرة لهـي الحيـوان لـو كانوا يعلمون) [العنكبوت: ٦٤].

٤ – التقوى والعمل الصالح :

كما أن المعاصي تورث الوحشة، فإن التقوى والعمل الصالح يورثان السكينة والطمأنينة، فمن اتقى الله عز وجل فإنه لا يخذله أبدا.

التقوى تبعد وساوس الشيطان عن الإنسان، وتبصره بالحق، كما قال تعـالى: (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) [الأعـراف: ٢٠١].

والسير على منهج الله تعالى سبب من أهم أسباب السـعادة، وقـد تكفـل سبحانه وتعالى بعدم الخوف والحزن للمتبعين لهدى الله سبحانه، قال تعـالى: (فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [البقرة: ٣٨].

ولقد وعد الله المتقين بالخير والنجاة في الدنيا، والأجـر والنعـيم المقـيم في الآخرة، ولا شك أن ذلك يبعث على السكون والطمأنينة، ويبعـد القلـق عـن الإنسان، والآيات في ذلك كثيرة جدا، منها قوله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) [الأنفال: ٢٩]، وقوله سبحانه: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [يوسف: ٩٠]، وقوله: (وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) [آل عمران: ١٢٠]، وقولـه: (ومن يتق الله يجعل له

مخرجا، ويرزقه من حيث لا يحتسب) [الطلاق: ٢،٣]، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) [الطلاق: ٤].

والعمل الصالح قربة إلى الله تعالى، ومن تقرب إلى الله سبحانه بالأعمال الصالحة صار وليًا لله، يدفع عنه شر المعتدين وكيد الكائدين، وفي الحديث القدسي عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب"[١].

بالتقوى والعمل الصالح يشعر المرء أنه قد أدى ما عليه وأرضى ضميره وأمن من عذاب الله عز وجل، وبذلك تحصل له السعادة والطمأنينة.

بالتقوى والعمل الصالح يشعر المرء بأن الله قد تولاه، وإذا تولاه الله عز وجل كفاه الهم، وفرج عنه الكرب، وأتاه بالرزق من حيث لا يحتسب (وألوا استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) [الجن: ١٦].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فالبر والتقوى بسط النفس، وشرح الصدر، بحيث يجد الإنسان في نفسه اتساعا وبسطا عما كان عليه قبل ذلك، فإنه لما اتسع بالبر والتقوى والإحسان بسطه الله وشرح صدره، والفجور والبخل يقمع النفس ويضعها ويهينها، بحيث يجد البخيل في نفسه أنه ضيق، وقد بين النبي ﷺ ذلك في الحديث الصحيح ونصه كما في البخاري : "مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما . فأما المنفق فلا ينفق إلى

---

[١] صحيح البخاري ٥/٢٣٨٤ كتاب الرقاق، باب التواضع.

سبخت – أو وفوت – على جلده حتى تخفى نباته وتعفوا أثره ، وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها ولا تسع "[١].

٥ – الصلاة :

يقول الله سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين) [البقرة: ١٥٣].

الصلاة صلة بين العبد وربه، وهي من أهم ما يشرح الصدر، ولذلك كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر قال: "أرحنا بالصلاة يا بلال"[٢]، وقال ﷺ : "وجعلت قرة عيني في الصلاة"[٣].

إذا اتصل المرء بالله تعالى وناجاه فكيف ينشغل بغيره، وكيف يشعر بآلام الدنيا ومتاعبها وقد وطّد صلته بالله تعالى، وقام بين يدي العزيز الرحيم.

وعندما ينقطع الاتصال بين العبد وبين ربه لا يجد ما يتعلق به سوى أسباب مادية ضعيفة هزيلة، لا تكاد تنفعه، فتنقطع به الأسباب.

فإذا كثرت همومك وزادت أحزانك فقم إلى الصلاة وناج ربك، وأسأله ما شئت، فكل شيء بيده سبحانه ولن يردك خائبا..

---

[١] مجموع الفتاوى ١٠/٦٢٩ .

[٢] أخرجه أحمد في مسنده ٥/٣٦٤، وأبو داود ٤/٢٩٦، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة.

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ٣/٢٨٥ من حديث أنس رضي الله عنه، والحاكم في المستدرك ٢/١٧٤، وقال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

ولما دخل زكريا – عليه السلام – على مريم، ورأى ما رزق الله إياها، واشتاقت نفسه إلى الولد، قام إلى الصلاة، وناجى ربه ودعاه: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب، هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء، فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى) [آل عمران: ٣٧-٣٩]، وحينئذ استجاب الله دعوته، وفرج همه، وأسعده بهذه البشارة.

٦ – قراءة القرآن :

القرآن كلام الله تعالى، أنزله الله رحمة وشفاء للمؤمنين، به تكون سعادة الدنيا والآخرة (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) [يونس: ٥٧].

قراءة القرآن تلاوة وتأمل لخطاب الرب سبحانه وتعالى لعباده، يذكر الناسي، ويؤمن الخائف، ويؤمل اليائس، وينير الطريق للباحثين عن الهداية .. (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم) [المائدة: ١٥،١٦].

إنه النور المبين، وشتان بين من وهبه الله نورا يضيء له الطريق، وبين من يتخبط في الظلمات، (أومن كان ميتًا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) [الأنعام: ١٢٢].

وفي القرآن شفاء، شفاء من أمراض القلوب، وشفاء من أمراض الأبدان، فقراءته تذهب الهم، وتزيل الشقاء، كما قال سبحانه: (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) [الإسراء: ٨٢]، وقال سبحانه: (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) [فصلت: ٤٤].

٧ – كثرة الذكر :

الذكر من أسباب انشراح الصدر وسعادة القلب، يقول الله سبحانه: (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) [الرعد: ٢٨].

الذكر حياة القلوب، والقلب الذي لا يذكر الله عز وجل قلب ميت، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت"[١].

يقول مالك بن دينار رحمه الله: "ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله"[٢].

ومن سمات المؤمنين وأسباب سعادتهم ذكر الله عز وجل، لا يحول بينهم وبين ذلك مانع من موانع الدنيا، قال سبحانه: (في بيوت أذن الله أن ترفع ويُذكر فيها اسمه

---

[١] أخرجه البخاري ٥/٢٣٥٣، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل.

[٢] جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٤٤٦ .

يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) [النور: ٣٦،٣٧]، وقال سبحانه: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) [الجمعة: ١٠].

وبقدر إكثارك من ذكره ينبسط خاطرك، ويهدأ قلبك، وتسعد نفسك، ويرتاح ضميرك، ويفرج الله همك.

ومن الذكر الاستغفار، فبه يزول الهم، ويفرج الكرب، وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا، ومن كل ضيق مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب"[١].

وذكر الله تعالى يجعل الإنسان متعلقا بالله عز وجل، واثقا به سبحانه، فيطمئن قلبه وينشرح صدره.

٨ – الصبر :

من سنن الله أن يبتلي عباده بأنواع من المصائب، وله سبحانه في ذلك حكم عديدة، منها: رفع درجاتهم، وتكفير سيئاتهم، وإظهار الصابرين من الساخطين، وقد أمر سبحانه وتعالى بالصبر عند الابتلاء فقال: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله

---

[١] أخرجه أحمد ، وأبو داود في سننه ٢/٨٥، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، وابن ماجه ٢/١٢٥٤، كتاب الأدب، باب الاستغفار، والحاكم وصححه ٤/٢٩١.

وإنا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [البقرة: ١٥٤-١٥٦].

والصبر مانع من موانع الحزن والقلق؛ وتخفيف لوطأة المصيبة، إذ هو استسلام لأمر الله تعالى وقضائه، ولذلك أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بالصبر وعدم الحزن، فقال: (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم) [النحل: ١٢٧].

وتأمل يعقوب – عليه السلام – بعد أن فقد ابنه الذي أحبه، يوسف الصديق عليه السلام، فلما رجع إخوته وزعموا أن الذئب قد أكله كان جوابه عليه السلام: (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) [يوسف: ١٨].

ولما طلب يوسف عليه السلام من إخوته أن يأتوه بأخيهم الأصغر، واحتجزه لديه وعاد إخوته إلى أبيهم يعقوب عليه السلام، وأخبروه الخبر، كان ملاذه الصبر أيضا، (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل، عسى الله أن يأتيني بهم جميعا) [يوسف: ٨٣]، فكان الصبر ملاذا ليعقوب – عليه السلام – في كلا الحالين.. وكانت نتيجة الصبر أن جمعه الله – عز وجل – بأولاده جميعا، (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [يوسف: ٩٠].

ومن الأسباب المعينة على الصبر: أن يتصور الإنسان ما وعد الله به الصابرين من الثواب الجزيل والأجر العظيم، وما ينتج عن ذلك من جزاء عاجل في الدنيا وآجل في الآخرة، فعن أم سلمة – رضي الله عنها – أن رسول الله ﷺ قال: "ما

من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أْجُرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا أخلف الله له خيرا منها"[١].

أما إذا عُدم الصبر فإن الجزع يستولي على الإنسان وتصبح حياته في تعاسة وشقاء، والصبر خير ما يتحلى به المرء عند المصائب.

٩ – التوكل على الله والثقة به :

من وسائل السعادة: التوكل على الله تعالى وتفويض الأمر إليه سبحانه، فإذا اعتمد الإنسان على ربه وتوكل عليه عاش في أمان وراحة بال؛ لأنه قد أوكل الأمور إلى القوي العزيز القادر على كل شيء.

يقول ابن رجب رحمه الله: "وحقيقة التوكل هو: صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها"[٢].

إن الإنسان وحده لا يستطيع أن يقاوم الأحداث، ولا يصارع الناس، ولا يستطيع أن يسيّر الأمور وفق هواه، لكن عندما يفوّض الأمر إلى الله ويثق به يطمئن مهما كانت الخطوب من حوله؛ لأن الله سبحانه قد تولّى أمره وكفاه.

إن الإنسان وحده لا يستطيع أن يصارع الأحداث، ولا يقاوم الملمّات، ولا ينازل الخطوب؛ لأنه خلق ضعيفا عاجزا، ولكنه حينما يتوكل على ربه ويثق بمولاه ويفوّض الأمر إليه، فإن الله سبحانه وتعالى يعينه على مواجهتها وتجاوزها، ويكفيه أمره، (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق: ٣].

التوكل وتفويض الأمر إلى الله عز وجل عادة الصالحين قبلنا، وهذا مؤمن آل فرعون بعد أن دعاهم إلى الله عز وجل ويئس من استجابتهم يفوّض أمره إلى الله

---

[١] أخرجه مسلم ٢/٦٣١، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة.

[٢] جامع العلوم والحكم ص٤٣٥ .

تعالى، قال سبحانه وتعالى حكاية عنه: (فستذكرون ما أقول لكم وأفوّض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد، فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب) [غافر: ٤٤،٤٥].

وعندما اجتمع المشركون لقتال النبي ﷺ وأصحابه فبلغهم الخبر، كان من شأنهم التوكل وتفويض الأمر إلى الله سبحانه، قال سبحانه: (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) [آل عمران: ١٧٣،١٧٤].

ولا بد من القول إن حقيقة التوكل لا تنافي الأخذ بالأسباب، بل ينبغي الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله تعالى، وقد أمر سبحانه باتخاذ الأسباب في غير موضع، كما قال سبحانه: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) [النساء: ٧١]، وقال سبحانه: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) [الأنفال: ٦٠]، وقال سبحانه: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) [الجمعة: ١٠].

١٠ - التفاؤل وعدم اليأس :

من أسباب السعادة: التفاؤل وعدم اليأس والقنوط، والمؤمن - دائما - واثق بالله تعالى، قويّ الرجاء به سبحانه، ومهما كانت ظروف المرء المسلم، فإنه لا ييأس من تفريج الله عز وجل، وقد دعا الله سبحانه عباده المؤمنين إلى عدم القنوط

واليأس، فقال سبحانه: (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) [الزمر: ٥٣].

وهذا يعقوب – عليه السلام – يفقد ولديه، ويمضي على أحدهما – يوسف– سنوات طويلة بعد فقده، ومع ذلك يوجه أبناءه إلى أن يعيشوا مع الأمل، وأن يبعدوا اليأس، ويبين أن اليأس والقنوط إنما هو من شأن الكافرين الذين لا يثقون برحمة الله عز وجل، يقول سبحانه على لسان يعقوب: (يا بَنِيّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) [يوسف: ٨٧].

ونجد في كتاب الله عز وجل أنموذجا متميزا في الثقة بالله تعالى، وعدم اليأس، وذلك في قصة إبراهيم – عليه السلام – وقد بلغ الكبر في سنه، ومع ذلك تبشره الملائكة بغلام، وهو في سن لا ينجب مثله، فيعجب من ذلك، ويخاطب الملائكة بقوله: (أبشرتموني على أن مسني الكبر فبِمَ تبشرون) [الحجر: ٥٤]، وظن الملائكة أن ذلك يأس منه وقنوط، لكنه بين لهم أن ذلك ليس من طبيعة المؤمن، (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين، قال ومن يقنط من ربه إلا الضالون) [الحجر: ٥٦،٥٥].

إن هذا الأمل والتفاؤل يجعل القلب يعيش في سكينة ووقار؛ لأنه واثق بالله عز وجل، أما إذا حل القنوط واليأس محل الأمل والتفاؤل فذلك سبب لضيق الصدر، وزيادة القلق والحزن، ولذلك كان النبي ﷺ يعجبه الفأل، كما في الحديث عن أنس

- رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: "لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة"[1].

١١ - الوقوف على سنن الله تعالى في الحياة :

من الأسباب الباعثة على السعادة والرضا، ودفع القلق والانزعاج: الوقوف على سنن الله تعالى في الحياة، فلله عز وجل في الكون سنن، فهو سبحانه وتعالى يعطي ويمنع، ويعز ويذل، ومن سنن الله عز وجل أن الدنيا لا تثبت على حال، بل تتغير وتتبدل، والأيام دول، فإذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة استطاع أن يحتمل المصائب، ولذلك سلّى الله عز وجل المؤمنين وعزاهم في مصيبتهم وهزيمتهم بقوله سبحانه: ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله، وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فإذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة هانت عليه مصيبته، وعلم أن الدنيا تتغير وتتبدل، وأن ذلك سنة من سنن الله عز وجل.

يقول الراغب الأصفهاني: "يجب للإنسان أن يتصور ما عليه جبلت الدنيا، حتى إذا ما بغتته نائبة لم يكترث بها لمعرفته إياها، ويجب عليه أن يروض نفسه على تحمل صغار النُّوَب حتى يتوصل بها إلى تحمل كبارها"[2].

١٢ - معرفة حقيقة الدنيا وحقارتها وزوالها :

من أسباب السعادة معرفة حقيقة الدنيا وحقارتها وزوالها، فالدنيا حقيرة لا تستحق أن يحزن الإنسان من أجلها، لأنها زائلة، وحاجة الإنسان الضرورية منها

---

[1] صحيح البخاري ٥/٢١٧١، كتاب ٧٩، باب الطيرة، صحيح مسلم ٤/١٧٤٥ كتاب السلام، باب الطيرة والفأل.

[2] المفردات في غريب القرآن ص١٢٣ (حزن).

محدودة، قال سبحانه وتعالى: (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) [الحديد: ١٩].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء"[١].

ومهما تمتع الإنسان بالدنيا ونعيمها فإن ذلك زائل لا محالة، إما بموت صاحبها أو بزوال النعم، ولقد ذكر القرآن لنا كثيرا من قصص وأخبار الأمم السابقة، الذين ركنوا إلى الدنيا فأهلكهم الله تعالى وحال بينهم وبين ملذة الاستمتاع بما آتاهم من الدنيا، يقول سبحانه: (كم تركوا من جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قوما آخرين) [الدخان: ٢٥-٢٨].

ويقول سبحانه في شأن قارون: (فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) [القصص: ٨١].

١٣ – إدراك طريقة الإسلام في التعامل مع النفوس ..

---

[١] أخرجه الترمذي ٥٦٠/٤، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله تعالى، وابن ماجه ١٣٧٦/٢، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، والحاكم في المستدرك ٣٤١/٤، وصححه.

من علاج القلق: معرفة طريقة الإسلام في التعامل مع النفوس، فإن النفوس تمل وتسأم، ولا بد من ترويح للنفوس، وقد أباح الله عز وجل ذلك، فهذا سليمان – عليه السلام – وقد مرّ بالنملة تخاطب قومها قائلة لهم: (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون، فتبسم ضاحكا من قولها) [النمل: ١٨،١٩].

وكان النبي ﷺ يضحك ويتبسم حتى تبدو نواجذه، وكان يمازح أصحابه ويلاطفهم صغارا كانوا أو كبارا.

وذاك يؤكد أن الإسلام ليس دين العزلة والبعد عن الناس والانغلاق، وليس دين الرهبانية وإتلاف النفس، ولكن دين يؤدي فيه المسلم حق الله تعالى، ويوازن بين حظوظ الدنيا وحظوظ الآخرة.

إن الإسلام لا يحرم ما فيه استمتاع مباح، يذهب عن المرء شيئا من الكآبة والحزن، فالضحك في الإسلام مباح، والمداعبة سواء كانت بين الزوجين أو مع الأطفال أو نحو ذلك مباح، ولما تزوج جابر - رضي الله عنه – امرأة ثيبا، قال له النبي ﷺ : "هلا جارية تلاعبها وتلاعبك، وتضاحكها وتضاحكك"[١].

ولما جاء حنظلة - رضي الله عنه – يشكو إلى النبي ﷺ فتورا عن العبادة بانشغاله في بعض الأحيان بملاعبة أزواجه وأولاده، قال له النبي ﷺ : "يا حنظلة ساعة وساعة"[٢].

---

[١] أخرجه البخاري ٢٠٥٣/٥، كتاب النفقات، باب عون المرأة زوجها في ولده، ومسلم ١٠٨٧/٢، كتاب الرضاع، باب استحباب نكاح ذات الدين.

[٢] أخرجه الإمام مسلم ٢١٠٦/٤، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة، وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا.

وهذا يعني أن يجعل الإنسان لربه نصيبا من الاجتهاد في العبـــادة، وأن يجعـــل لنفسه قسطا من الراحة واللهو المباح.

تلك أبرز الأسباب التي يمكن أن تكون سببا للسعادة وعلاجا للقلـــق الـــذي ابتلي به كثير من الناس اليوم..

نجد علاج ذلك في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ ، ففيها شفاء القلوب وأدويتها، فحري بالمسلمين أن يعودوا إلى كتاب ربهم وسنة نبيهم، لينهلوا من هذين المنهلين نهلا عذبا صافيا.

أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى، وصلى الله وسلم على نبينـــا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

خاتمة البحث :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فمن خلال ما سبق يمكن القول بأن عددا من العوامل والأسباب قد يؤدي إلى القلق، والإنسان بطبعه قد يتزعج نتيجة لعدد من المؤثرات من حوله.. وليس القلق مذموما على كل حال، بل منه ما هو ممدوح ومنه ما هو مباح، ومنـــه مـــا هـــو مذموم.

والقرآن الكريم ذكر عددا من هذه الحالات، وبين سبحانه وتعالى الأســـباب التي تؤدي إلى سكينة النفس وطمأنينتها، ولا يمكن للإنسان السكون والطمأنينة إلا إذا سار على منهج الله تعالى..

وإذا كان عدد من علماء الطب النفسي قد درسوا هذه الظاهرة وبحثوا عـــن علاجها، ومنهم العلماء المسلمون، فإني أرى أن دراسة أسباب القلق وعلاجه مـــن

خلال الكتاب والسنة أمرٌ مهم لكل طبيب متخصص في هذا المجال، وأنه لابد له من دراسته، ذلك أن الدافع الإيماني لطرد الوساوس والشكوك والتخوفات أقوى من أيّ دافع آخر، فإذا عرف الإنسان مصدر الأمان، اتجه إلى الله تعالى للبحث عنه، ورضي بقضاء الله وقدره، أيًا كان حاله، وتطلع إلى ما عند الله سبحانه وتعالى، فعوّضه ذلك عما فاته من الدنيا.

وأيّ دواء يعتمد على الوصفات الطبية المجردة، فإنها لن تغني في كسب الطمأنينة والأمان للفرد، كما يصنع الإيمان.. وستبقى عاجزة عن تحقيق السكينة ودفع القلق؛ لأن الله عز وجل خالق النفس البشرية، وهو أعلم بما يصلح حالها.

وحريّ بكل امرئ يعاني من القلق أن يتجه إلى علاج ذلك في ضوء كتاب الله عز وجل، فقد ضمن الله عز وجل الأمن والسكينة والطمأنينة للمؤمنين، كما قال سبحانه: (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) [الأنعام: ٨٢].

أسأل الله تعالى أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يرشدهم لما في الخير والفلاح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعي

مراجع البحث ومصادره

- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازي، المتوفى سنة ٦٠٤هـ الطبعة الأولى ١٤١١هـ، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، تأليف أبي عيسى، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، المتوفى سنة ٢٧٩هـ، تحقيق/ أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، (الداء والدواء)، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١هـ، مكتبة الرياض – الرياض.
- الزهد الكبير، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي، المتوفى سنة ٤٥٨هـ، تحقيق الشيخ/ عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٩٦م.
- الفوائد، للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض، السعودية.
- القاموس المحيط، تأليف مجد الدين، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفى سنة ٨١٧هـ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد، المعروف بالراغب الأصفهاني، المتوفى سنة ٥٠٢هـ، ضبط ومراجعة: محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- تفسير القرآن العظيم، للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، المتوفى سنة ٧٧٤هـ، ط دار الشعب، مصر.
- جامع العلوم والحكم، في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تأليف زين الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي البغدادي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ ط١٤٠٩هـ ١٩٨٨م، مكتبة الرياض الحديثة.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ دار الكتاب العربي، بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين، السيد محمود الآلوسي البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- سنن أبي داود، للإمام سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- سنن ابن ماجه، للإمام محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، المتوفى سنة ٢٧٥هـ، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.
- صحيح البخاري، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، دار ابن كثير، بيروت.

- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن الحجاج أبي الحسين القشيري النيسابوري، المتوفى سنة ٢٦١هـ، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- صفوة الصفوة، لأبي الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد، ابن الجوزي، المتوفى سنة ٥٩٧هـ، تحقيق/ محمود فاخوري، د. محمد رواس قلعه جي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، دار الشروق، بيروت.
- لا تحزن، للشيخ/ عائض بن عبدالله القرني، الطبعة الأولى، دار الصحابة، الإمارات.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، بمساعدة ابنه محمد، طبع بإشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، المتوفى سنة ٢٤١هـ، مؤسسة قرطبة، مصر.

بعض صفات أهل الكتاب وموقفهم من الإسلام والمسلمين
كما جاء في القرآن الكريم

د. عبد اللطيف هائل ثابت

بعض صفات أهل الكتاب وموقفهم من الإسلام والمسلمين كما جاء في القرآن الكريم

د. عبد اللطيف هائل ثابت

كلية التربية – جامعة صنعاء

مقدمة البحث :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا.

وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الخلق جميعا ويعلم سرهم ونجواهم ويعلم ما في الصدور وهو الذي يعلم ما يصلح للإنسانية في كل زمان ومكان، وقد بين ذلك للأمة في كتابه العزيز بأوضح أسلوب وأتم بيان . وأوضح في كتابه العزيز. موقف أهل الكتاب من الحق وأهله قديما وحديثا ومستقبلا فمن أخذ بما بيّن الله فاز ونجا في الدنيا والآخرة. ومن أراد أن يغير من تلك الحقائق التي اخبرنا الله عنها خاب وخسر في الدنيا والآخرة، ولن يتغير من تلك الحقائق شئ ، فالله هو العليم بعباده: ((ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)) وفي هذا البحث سأبين موقف أهل الكتاب من الإسلام والمسلمين على ضوء ما أخبرنا الله به في كتابه العزيز.

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

المقدمة:

وقد بينت فيها أن ما أخبرنا الله عنه من موقف أهل الكتاب من الإسلام والمسلمين لن يتغير ولن يتبدل.

الفصل الأول: موقف أهل الكتاب من الإسلام والمسلمين، وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: نبذهم للحق.

المبحث الثاني: تحريفهم لكتب الله عن علم.

المبحث الثالث: أهل الكتاب ليسوا على شئ من الحق .

المبحث الرابع : إفسادهم في الأرض.

المبحث الخامس: سعيهم لإطفاء نور الله في الأرض.

الفصل الثاني: موقفهم من المسلمين وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: حسدهم للرسول والمسلمين.

المبحث الثاني: مخاطبتهم للرسول بما فيه تمويه.

المبحث الثالث: سعي أهل الكتاب لخداع المسلمين وتضليلهم وإغراقهم في الشهوات.

المبحث الرابع: صدهم المسلمين عن الطريق المستقيم.

المبحث الخامس: عدم رضاهم عن المسلمين حتى يتبعوا أهواءهم .

الفصل الثالث: حربهم للمسلمين وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول : حرصهم على أن يوقعوا المسلمين في مشاق الأمور.

المبحث الثاني: عداوتهم وإيذاؤهم للمسلمين.

المبحث الثالث: استحلالهم لأموال المسلمين.

المبحث الرابع: تعاونهم مع المشركين في الحرب ضد المسلمين.

المبحث الخامس: تعاونهم مع المنافقين في الحرب ضد المسلمين.

الفصل الأول

موقف أهل الكتاب من الإسلام وفيه خمسة مباحث

المبحث الأول: نبذهم للإسلام.

قال تعالى :((ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون)) البقرة ١٠١

أي ولما جاءهم محمد ﷺ مصدقا للتوراة وموافقا لها في أصول الدين ، ومقرراً لنبوة موسى عليه السلام، فطرح أحبارهم وعلماؤهم التوراة وأعرضوا عنها بالكلية ، لأنها تدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فجحدوا وأصروا على إنكار نبوته، كأنهم لا يعلمون من دلائل نبوته شيئا ، واقبلوا على تعلم السحر وأتباعه ولهذا أرادوا كيداً، برسول ﷺ وأرادوا أخذه بالسحر ، فهم يتركون الحق مع علمهم أنه حق ، ويأخذون بالأباطيل مع علمهم ببطلانها.

وقوله تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا)- سورة النساء٥١-.

أعيد التعجب من اليهود الذين أوتوا نصيبا من الكتاب بما هو أعجب من حالهم الذي مر ذكره في قوله (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة) فإن إيمانهم بالجبت والطاغوت ،وتصويبهم للمشركين ، تباعد منهم عن أصول شرعهم بمراحل شاسعة على مالا خير فيه وقد نقل عن ابن عباس في معنى الجبت: أنه الساحر،والطاغوت: أنه الكاهن وروي عن مالك أن الطاغوت:ما عبد

من دون الله، والجبت: الشيطان. وقيل: هما كل معبود من دون الله أو مطاع في معصية الله(١).

وسبب نزول هذه الآية ما رواه الإمام أحمد عن ابن عباس قال : لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت قريش : ألم تر إلى هذا القنبور(٢) المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة ، وأهل السقاية ، قال : أنتم خير، قال فنزلت فيهم :(إن شانئك هو الابتر) ونزل (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت) إلى قوله (نصيرا) قوله (أولئك الذين لعنهم الله) الإشارة إلى اليهود الذين أوتوا نصيبا من الكتاب . وقوله (لعنهم الله) أي طردهم عن رحمته ، وأحل عليهم نقمته.

قوله (ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا) أي لن تجد من ينصره، ويدفع عنه ما نزل به من عذاب الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله تعالى(يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون ، يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) –آل عمران ٧٠-٧١-.

الاستفهام إنكاري ، وفيه توبيخ لليهود والنصارى ، والمراد بالآيات : المعجزات المنزلة على محمد ﷺ.

وقوله (وأنتم تعلمون) أي وأنتم تعلمون أن ما نزل عليه هو الحق.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن ١٤٦/٣.
(٢) أي الرجل الفرد الضعيف.

ولبس الحق بالباطل: تلبيس دينهم بما أدخلوا فيه من الأكاذيب، والخرافات والتأويلات الباطلة حتى ارتفعت الثقة بجميعه.

وكتمانهم الحق: يحتمل أن يراد به كتمانهم نبوة محمد ﷺ ويحتمل كتمانهم ما في التوراة والإنجيل من الأحكام التي أماتوها و لم يعملوا بها ، وهم يعلمونها ولا يعملون بها[1] ولا تنافي بين القولين.

قال سيد قطب رحمه الله :(وهذا الذي ندد الله به –سبحانه– من أعمال أهل الكتاب حينذاك ، هو الأمر الذي درجوا عليه من وقتها حتى اللحظة الحاضرة .. فهذا طريقهم على مدار التاريخ.. اليهود بدأوا منذ اللحظة الأولى ، ثم تابعهم الصليبيون، وفي خلال القرون المتطاولة.. دسوا– مع الأسف– في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى كشفه إلا بجهد القرون ! ولبسوا الحق بالباطل في هذا التراث كله – اللهم إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه أبد الآبدين – والحمد لله على فضله العظيم[2])

المبحث الثاني: تحريفهم لكتب الله عن علم

قال سبحانه (وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون) -آل عمران ٧٨- اصل "اللَّي" الفتل والقلب ، من قول القائل :(لوى فلان يد فلان) إذا فتلها وقلبها.

انظر تفسير ابن عاشور ٣/ ٢٧٦.
في ظلال القرآن ١/ ٤١٤.

وفريق من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، يسلكون مسلك التضليل، ويلوون ألسنتهم بالكتاب ، أي يميلونه ويحرفونه عن المقصود ، وهذا اللّي والتحريف شامل لألفاظه ومعانيه، والمقصود من إنزال الكتب أن يحفظ ألفاظها ، ويفهم المراد منها، ولكن فريقا من اليهود والنصارى عكسوا القضية ، وحرفوا الألفاظ، وأفهموا غير المراد من الكتاب، إما بالتعريض ، في قوله : (لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب) أي يوهمونكم أنه هو المراد من الكتاب، وليس هو المراد.

وإما بالتصريح في قوله(ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله) و لم يكن فعلهم هذا ناتجا عن نسيان ، أو تأويل وإنما يتعمدون التحريف والتضليل عن علم، وينسبونه إلى الله وهم يعلمون أنهم كاذبون ، يفعلون كل ذلك ليتوافق مع شهواتهم ورغباتهم، وينفون صفات محمد ﷺ ليبقوا على رياساتهم ومناصبهم.

قوله تعالى (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا)النساء-٤٦-.

قوله (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) فيه قولان:

١- أن اليهود كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الشيء، فإذا خرجوا حرفوا كلامه.

٢- تبديلهم كلام الله في التوراة، ويفسرونه بغير مراد الله قصداً و عمـــداً . ولا تنافي بين القولين ، فاليهود قد فعلوا ذلك كله.

قوله (ويقولون سمعنا وعصينا) أي يقولون لك إذا دعوتهم للإيمان: سمعنا قولـــك وعصينا أمرك ، وهذا أبلغ في الكفر والعناد.

قوله (واسمع غير مسمع): أي اسمع لا أسمعك الله ، يقولون ذلك استهزاء منـــهم واستهتارا بنبي الإسلام – لعنهم الله-.

(وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين)

راعنا في اللغة العربية: من المراعاة ، وهي : التمهل والتأني واستعملها اليهود : من الرعونة ، وهي الخفة والهوج، وقيل : بمعنى: أسمع لا سمعت ، وقيل غير ذلك.

فهي كلمة تدل على السب . وكان اليهود يستعملون من الكلام ما فيه تورية، ويقصدون به سب الرسول ﷺ، فبين الله قصدهم وفضحهم ، ونهى المسلمين عـــن استعمال كلامهم فقال:

(يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا) .

(انظرنا) أي أمهلنا حتى نفهم ما تقول ونحفظ ، أمرهم أن يقولوا من الكلام ما يدل على المراد بوضوح، وليس فيه تورية ولا احتمال لما في مقاصد اليهود الخبيثة.

وقوله (ليا بألسنتهم وطعنا في الدين) أي يُميلون الكلام إلى ما في قلوبهم مـــن السب ، ويطعنون بالرسول بقولهم: لو كان نبيا لعلم أنا نسبه ، فأطلع الله نبيه ﷺ على قولهم. وهذا خلق اليهود ودأبهم في كل زمان فبـــالأمس القريـــب يـــأتون

بمصطلح "الجندر" ، ثم يفسرونه على حسب شهواتهم، واليوم يأتون بمصطلح "الإرهاب"، ولا يضعون له ضابطا ، ثم يفسرونه على حسب ما يرغبون . وهكذا.

قوله (ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم)

أي لو أنهم قالوا : سمعنا قولك وأطعنا أمرك بدلا من قولهم (سمعنا وعصينا) ، (واسمع) أي ما نقول ، بدل قولهم : (واسمع غير مسمع) (وانظرنا) أي أمهلنا حتى نفهم ما تقول ونحفظ. بدل قولهم (راعنا) . لكان هذا الكلام أولى وأعدل وأصوب. وإنما كان أعدل وأصوب ، لأنه دل على معنى لا احتمال فيه، بخلاف قولهم السابق.

قوله (ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا) أي ولكن لما كانت طباعهم غير زكية ، ونفوسهم غير رضية ، ولم يسلكوا المسلك الحسن ، طردهم الله بكفرهم وعنادهم ، فلم يصل الإيمان النافع إلى قلوبهم ، فهم يؤمنون ببعض الأشياء ويكفرون ببعض، فكان وجود هذا الإيمان القليل كعدمه.

قال تعالى: (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوا وان لم تؤتوه فاحذروه ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم)المائدة-٤١ .

افتتح الخطاب بأشرف الصفات ، وهي صفة الرسالة عن الله، وفيه تسلية للرسول ﷺ مما يجد من المنافقين واليهود من كذب، واضطراب وسوء معاملة.

سبب نزول الآية:

أخرج مسلم وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : مر النبي ﷺ بيهودي محمما مجلودا ، فدعاهم صلى الله عليه وسلم فقال : ((هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم ؟)) قالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : ((انشدك بالله الذي أنزل التوارة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال : لا ، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك ، نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا تعالوا فلنجتمع على شئ نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم(١) والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ : ((اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه) فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز وجل ((يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) إلى قوله (إن أوتيتم هذا فخذوه) يقولون –أي اليهود- ائتوا محمداً ﷺ ، فان أمركم بالتحميم والجلد فخذوه ، وان أفتاكم بالرجم فاحذروا ، فأنزل الله تعالى ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون)) ((ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) في الكفار كلها (٢).

التحميم : تسويد الوجه بالفحم.
صحيح مسلم ٣/ ١٣٢٧ كتاب الحدود.

قال ابن عاشور((وكان حكم الرجم عندهم مكتوما لا يعلمه إلا خاصة أحبارهم ومنسيا لا يذكر بين علمائهم ، فلما حكم عليهم به بهتوا)) (١)

ومعنى :(لا يحزنك) أي لا تهتم بما يفعلون مما شأنه أن يدخل الحزن على نفسك.

ومعنى (يسارعون في الكفر) أي في إظهاره عند أدنى مناسبة ، وفي كل فرصة، والمسارعة إلى الشئ : الوقوع فيه بسرعة.

وقوله(من الذين قالوا آمنا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم) وهم المنافقون ، وقوله (ومن الذين هادوا) أي أن المسارعين في الكفر طائفة المنافقين وطائفة اليهود.

وقوله (سماعون للكذب) فيه قولان:

١- أي سماعون منك ليكذبوا عليك . فاللام في قوله (للكذب) لام (كي) .

٢- سماعون للكذب ، أي قابلون له ، والسمع يستعمل ويراد منه القبول ، كما يقال : لا تسمع من فلان، أي لا تقبل منه، ومنه: سمع الله لمن حمده. والكذب الذي يقبلونه هو ما يقوله رؤساؤهم من الأكاذيب في دين الله تعالى في تحريف التوارة ، وفي الطعن في محمد ﷺ.

وقوله (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) فيه قولان:

١- سماعون من رسول الله لأجل قوم آخرين من اليهود، فهم عيون وجواسيس لقوم آخرين لم يحضروا عندك إلا لينقلوا إليهم أخبارك.

٢- سماعون من قوم آخرين ، وهم رؤساؤهم المبدلون التوراة.

ولا منافاة بين هذه الأقوال .

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٦/ ١٩٦.

قوله (يحرفون الكلم من بعد مواضعه) أي من بعد أن وضعه الله في مواضعه فأحل حلاله ، وحرم حرامه . وفي هذا التحريف خمسة أقوال :

١- تغيير حدود الله في التوارة ، وذلك أنهم غيروا الرجم.

٢- تغيير ما يسمعونه من النبي ﷺ بالكذب عليه ، والزيادة والنقصان.

٣- إخفاء صفة النبي ﷺ.

٤- سوء التأويل عن قصد.

٥- اسقاط القود بعد استحقاقه.

قلت : وكل ذلك قد فعلوا.

وقد ورد في سورة النساء:(.. من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) (١)

وفي سورة المائدة الآية ١٣ (.. وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه)

قال إبن عاشور: ((يحرفون الكلم من بعد مواضعه)) تغيير كلام التوراة بكلام آخر ، عن جهل ، أو قصد، أو خطأ في تأويل معاني التوارة ، أوفي ألفاظها، فكان إبعادا للكلام عن مواضعه ، أي إزالة الكلام الأصلي ، سواء عوض بغيره ، أم لم يعوض ، وأما هذه الآية ففي ذكر طائفة معينة أبطلوا العمل بكلام ثابت في التوارة، إذ الغوا حكم الرجم الثابت فيها ، دون تعويضه بغيره من الكلام ، فهذا اشد جرأة من التحريف الآخر، فكان قوله (من بعد مواضعه) ابلغ في تحريف الكلام ، لأن (بعد) يقتضي أن مواضع الكلم مستقرة وأنه ابطل العمل بها مع بقائها قائمة في كتاب التوراة)) (٢)

---

١) الآية ٤٦.

٢) التحرير والتنوير ٢٠٠/٦ .

قوله تعالى (ألم تر إلى الذين نهو عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير)المجادلة —٨.

ذكر ابن الجوزي أن هذه الآية نزلت في اليهود ، أو في اليهود والمنافقين ، قال مقاتل : وكان بين اليهود وبين رسول الله موادعة، فإذا رأوا رجلا من المسلمين وحده تناجوا بينهم ، فيظن المسلم أنهم يتناجون بقتله ، أو بما يكره ، فيترك الطريق من المخافة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن النجوى ، فلم ينتهوا ، وعادوا إليها ، فنزلت هذه الآية . (١)

والنجوى : الحديث بين اثنين أو أكثر سرا.

قال أبو السعود: (والهمزة للتعجب من حالهم ، وصيغة المضارع (ثم يعودون ، للدلالة على تكرار عودهم ، وتجدده، واستحضار صورته العجيبة) (٢)

وبدأ بالإثم لأنه عام في جميع الذنوب ، ثم العدوان لعظمته في النفوس، لأنه اعتداء على الآخرين ، ثم ترقي إلى ما هو اعظم وهو معصية الرسول ﷺ. (٣)

قوله (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ..)

اخرج الإمام أحمد والبزار ، والطبراني بسند جيد ، وحسنه ابن كثير عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: سام عليك (١) (ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) فنزلت هذه الآية —٦-(٢).

زاد المسير ١٨٨/٨.
تفسير ابي السعود ١٤٥/٨.
انظر البحر ٢٣٦/٨.

وقوله (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) أي يكفيهم عذابا أن يدخلوا نار جهنم يصلون حرها.

المبحث الثالث : أهل الكتاب ليسوا على شئ من الحق.

قوله تعالى(قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) المائدة الآية-٦٨-

أي قل يا محمد لليهود والنصارى لستم على شئ من الدين يذكر ، لا قليل ولا كثير ، أي لاحظ لهم بشئ من الدين يعتد به عند الله حتى تقيموا التوراة والإنجيل ، وإقامتهما العمل بما فيهما ، ومن ذلك الإيمان بمحمد ﷺ، قوله (وما أنزل إليكم من ربكم) يعني القرآن.

قوله (وليزيدن كثيرا منهم ..) أي من اليهود والنصارى ، وذلك بباعث الحسد على هذا الدين ، ونزول القرآن ناسخا لدينهم ، والطغيان هو الغلو في الظلم ، مع عدم الاكترارث بلوم اللائمين من أهل اليقين ، فهم يفقدون الصواب ، ويقلبون الحقائق ، ويتميزون غيضا ومكابرة حتى ترى العالم المشهود له منهم يتصاغر ويتسفل إلى دركات التباهل والتجاهل ، إلا قليلا ممن اتخذ الإنصاف شعارا ، وتباعد عن أن يرمى بسوء الفهم. (٣)

يعنون : الموت.
انظر مجمع الزوائد ١٢٢/٧ ، وتفسير ابن كثير ٣٤١/٤
انظر تفسير ابن عاشور ٢٦٦/٦.

قوله (فلا تأس على القوم الكافرين) أي لا تحزن عليهم من توغلهم في الطغيان والكفر مع علمهم بطغيانهم وكفرهم ، وقد كان الرسول ﷺ يحزنه ذلك ويؤسفه لرحمته بالخلق.

المبحث الرابع : إفسادهم في الأرض

قال سبحانه : (وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين)المائدة -٦٤-.

أخرج الطبراني ، وابن إسحاق عن ابن عباس قال : قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس : إن ربك بخيل لا ينفق فنزلت ([1]).

وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس : نزلت في فنحاص رأس يهود بني قينقاع. ولما لم ينكر على القائل قومه ، ورضوا بقوله أشركهم الله فيها.

وذكر العلماء أقوالا في سبب قولهم ذلك منها:

١- أن الله تعالى كان قد بسط لهم الرزق ، فلما عصوا الله تعالى في أمر محمد ﷺ وكفروا به ، كف عنهم بعض ما كان بسط لهم ، فقالوا : يد الله مغلولة .

٢- وقيل : إن الله استقرض منهم كما استقرض من هذه الأمة، فقالوا : إن الله بخيل ، ويده مغلولة ، فهو يستقرضنا.

---

[1] قال الهيثمي في المجمع : رواه الطبراني ورجاله ثقات ١٧/٧.

٣- وقيل : قالوا ذلك لما استعان بهم الرسول ﷺ في الديات وقد رد الله على قولهم اللئيم فقال (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء . .)

وقوله (وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيان وكفرا)

قال ابن كثير : ((أي يكون ما أتاك الله يا محمد من النعمة نقمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم ، فكما يزداد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا وعلما نافعا، يزداد به الكفرة الحاسدون لك ولأمتك طغيانا ، وهو المبالغة والمجاوزة للحد في الأشياء ، وكفرا ، أي تكذيبا)) ([1])

قوله (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) قيل بين اليهود والنصارى، وقيل : بين فرق اليهود. وهذا عقاب من الله لهم ، وفيه تسلية للرسول ﷺ أن لا يهمه أمر عداوتهم له ، فهم لا تجتمع قلوبهم أبدا.

قوله (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) أي كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها، وكلما ابرموا أمورا يحاربونك بها يبطلها الله ، ويرد كيدهم عليهم ، ويحيق مكرهم السيئ بهم.

(ويسعون في الأرض فسادا) أي يجتهدون في الكيد للإسلام وأهله وإثارة الشر والفتنه بين المسلمين .

قال أبو حيان : ((والأرض يجوز أن يراد بها الجنس)) ([2])

---

[1] تفسير ابن كثير ١٣٩/٣.
[2] البحر المحيط ٥٢٦/٣.

أي في شتى بقاع الأرض ، وبجميع صور الفساد وهذه سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض والله لا يحب من هذه صفته.

المبحث الخامس : سعيهم لإطفاء نور الله في الأرض

قال تعالى: ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون)) التوبه الآية —٣٢،٣٣ —.

الضمير في قوله (يريدون) عائد إلى الذين أوتوا الكتاب)) في الآية ٢٩ (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون))

والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى.

وقد وصفهم الله في الآيات من ٢٩-٣٤ بإثنتي عشرة صفة:

١- لا يؤمنون بالله الإيمان الصحيح النافع.

٢- لا يؤمنون باليوم الآخر كما يجب.

٣- لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، جاء في تفسير ابن عطية بصدد قوله تعالى((ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله)) فبين ونص على مخالفتهم لمحمد ﷺ.([1])

٤- لا يدينون دين الحق أي لا يدينون بالإسلام الذي لا يقبل الله من أحد سواه.

---

[1]) تفسير ابن عطية ٤٥٦/٦.

٥- اليهود قالوا عزير بن الله ، والنصارى قالوا : المسيح بن الله .

٦- اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله.

٧- أنهم مشركون.

٨- محاربون لدين الله يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم.

٩- هم كافرون .

١٠- كثير من أحبارهم ورهبانهم يأكلون أموال الناس بالباطل.

١١- يصدون الناس عن سبيل الله .

١٢- لا يخرجون زكاة أموالهم وقد أوجبها الله عليهم.

إذاً فاليهود والنصارى منحرفون عن الدين الصحيح ، اعتقادا ، وعملا ، وقولا. وهم لا يقفون عند هذا الانحراف ، بل يعلنون الحرب على دين الإسلام، ويريدون إطفاء نور الله في الأرض بما يطلقونه من أكاذيب ودسائس وفتن ، وبما يحرضون به أشياعهم وأتباعهم على حرب هذا الدين وأهله(١) .

قال ابن عاشور : ((ولو في (كره الكافرون) اتصالية ، وهي تفيد المبالغة بأن ما بعدها أجدر بانتفاء ما قبلها لو كان منتفيا ، والمبالغة بكراهية الكافرين ترجع إلى المبالغة بآثار تلك الكراهية ، وهي التألب والتظاهر على مقاومة الدين وإبطاله ، وأما مجرد كراهيتهم فلا قيمة لها عند الله تعالى حتى يبالغ بها ، والكافرون هم اليهود والنصارى)) (٢)

وقوله (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)

---

١) انظر في ظلال القرآن ١٦٤٣/٣.
٢) التحرير والتنوير ١٧٢/١٠.

هذا وعد من الله بإتمام نوره لتطمئن بذلك نفوس المؤمنين ، مهما فعل الكافرون من حرب ومكر وكيد لإطفاء هذا الدين.

قوله (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)

هذا النص يبين أن دين الحق هو الإسلام ، وما عداه من الأديان لا يعتد بها ، لأنها قد حرفت ، ولأن الإسلام قد نسخها ، قال تعالى(قل يا أهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم)وهذا فيه توكيد بإظهار هذا الدين سواء بغلبة المسلمين على عدوهم ، أو بما اشتمل عليه هذا الدين من الحجج والمعجزات والبراهين التي لا يجحدها إلا معاند ومكابر وجحود الجاحد ومكابرة المكابر لا تغير من أحقية الإسلام شيئا ولا تحجب هذه الأحقية عمن يريد أبصارها.

الفصل الثاني

موقفهم من المسلمين وفيه خمسه مباحث

المبحث الأول : حسدهم للرسول والمسلمين

قوله تعالى(أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يأتون الناس نقيرا) النساء-٥٣- أم منقطعة بمعنى (بل) والهمزة للاستفهام الإنكاري ، أي بل ألهم نصيب من الملك فيفضلون من شاؤا على من شاؤوا بمجرد أهوائهم فيكونون شركاء لله في تدبير مملكته ، فلو كان كذلك ما أعطوا أحدا مقدار نقير ، لفرط بخلهم وحسدهم ، والنقير : النقرة في ظهر النواة.

قوله (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله)

أم منقطعة بمعنى بل للإضراب الانتقالي، من توبيخهم بالبخل إلى توبيخهم بالحسد ، وهما من شرار الرذائل ، والاستفهام إنكار على حسدهم.

والمعنى: أيحسدون ، يعنى اليهود يحسدون النبي ﷺ فقط ، أو يحسدونه هو وأصحابه على ما آتاهم الله من فضله من النبوة ، والهدى إلى الإيمان ، والنصر على الأعداء ، ونحو ذلك .

قوله تعالى(فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما)

آل إبراهيم : أبناؤه وعقبه ونسله ، وإبراهيم داخل في هذا الحكم، والكتاب جنس؛ فيشمل صحف إبراهيم ، وصحف موسى ، وما أنزل بعد ذلك والحكمة : النبوة. والملك العظيم : ما كان لداود وسليمان عليهما السلام.والمعنى : أنه حصل في أولاد إبراهيم جماعة كثيرون جمعوا بين النبوة والملك وأنتم تعرفون ذلك و لم

تنكروه ، فكيف تنكرون هذا الفضل على محمد ﷺ وأصحابه ، فهو ليس ببدع عليهم.

قوله تعالى(فمنهم من آمن به ومنهم من صدعنه) فيه قولان :

١- أي فمن الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من آمن بمحمد ، ومنهم من أعرض وصرف الناس عنه.

٢- أي فمن آل إبراهيم من آمن به ، ومنهم من كفر ، فليس تكذيب اليهود محمداً بأعجب من ذلك.

قوله تعالى(وكفى بجهنم سعيرا) أي وكفى بالنار عقوبة لمن كفر بالله ، وجحد نبوة أنبيائه من اليهود والنصارى وغيرهم.

قوله تعالى(ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شئ قدير) البقرة-١٠٩-.

يتمنى اليهود والنصارى أن يروا المسلمين وقد رجعوا إلى الشرك ، وتركوا الإيمان بالله الذي هداهم الله إليه وهنا سر في التعبير بقوله (يردونكم) لأن الرد إنما يكون إلى أمر سابق، والأمر السابق للمسلمين هو الشرك.

ولو قيل : لو كفرتم ، لكان بعض العذر لأهل الكتاب ، لاحتمال انهم يودون مصير المسلمين إلى اليهودية.

وليس هذا التمني وهذه الرغبة لأنهم لا يعلمون الحق، بل هم يعلمون ذلك ، وإنما حملهم عليه العناد والحسد.

ولما كان الكفر بعد الإيمان أبغض شئ عند المسلمين فهم يريدون الانتقام ممن يحب لهم الرجوع إلى الكفر، فأمرهم الله بالعفو والإعراض عن اليهود حتى يفعل الله ما يشاء.

وقوله تعالى(إن الله على كل شئ قدير) فيه تعليم للمسلمين على فضيلة العفو مع القدرة على الانتقام . فإن الله قدير على كل شئ وهو يعفو ويصفح ، فكونوا كذلك أيها المؤمنون.

قوله تعالى(ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) البقرة –١٠٥–

الود: محبة الشيء مع تمنيه . ((خير)): نكره ، وقد سبقه نفي فدل على العموم.

أي ما يحب الكافرون من اليهود والنصارى ، ولا المشركون أن يترل عليكم شئ من الخير ، بغضا فيكم وحسدا لكم.

قال ابن جرير الطبري: ((وفي هذه الآية دلالة بينة على أن الله تبارك وتعالى نهى المؤمنين عن الركون إلى أعدائهم من أهل الكتاب والمشركين ، والإستماع إلى قولهم ، وقبول شئ مما يأتونهم به على وجه النصيحة لهم منهم باطلاعه – جل ثناؤه – إياهم على ما يستبطنه لهم أهل الكتاب والمشركون من الضغن والحسد ، وإن اظهروا بألسنتهم خلاف ما هم مستبطنون) ([1]).

---

[1]) تفسير ابن جرير ٤٧٠/٢.

قوله تعالى(والله يختص برحمته من يشاء) أي يختص بالنبوة والوحي والفضل والإحسان من شاء من عباده ، ولو حسد الحاسدون وكره الكارهون فلا يغيرون شيئا مما أراده الله من فضل لمن شاء من عباده.

المبحث الثاني: مخاطبتهم للرسول بما فيه تمويه

قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم) البقرة -١٠٤-

هذه جناية أخرى من جنايات اليهود ، فكما أنهم يستعملون السحر للتمويه ، فهم كذلك يخاطبون الرسول ﷺ بما فيه تمويه من الكلام ، واحتمال لأكثر من معنى.

فكان المسلمون إذا ألقى عليهم رسول الله شيئا من القرآن قالوا (راعنا) يا رسول الله ، أي راقبنا ، وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه.وكانت لليهود كلمة عبرانية يتسابون بها فيما بينهم وهي (راعنا) قيل معناها: اسمع لا سمعت ، وقيل : نسبة إلى الرعن، وهو الحمق والهوج، فلما سمعوا قول المؤمنين ، اتخذوه فرصة ، وذريعة إلى مقصدهم الخبيث ، فجعلوا يخاطبون به رسول الله ﷺ، يعنون به تلك المسبة، فنزلت الآية ، ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعا لألسنة اليهود عن التدليس ، وأمروا باستعمال كلمة لا تقبل التلبيس .

(وقولوا انظرنا)أي انظر إلينا ، أو انتظرنا، أو أمهلنا حتى نحفظ.

قوله (واسمعوا) أي قولوا ما أمرتكم به ، وامتثلوا جميع أوامري. ولا تكونوا كاليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا.

قوله (وللكافرين عذاب أليم) أي اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور إلى كفرياتهم ، وجعلوه سببا للتهاون برسول الله ﷺ وقالوا ما قالوا ، وفيه وعيد شديد لهم ، ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه.

المبحث الثالث : سعيهم لخداع المسلمين وتضليلهم وإغراقهم في الشهوات

قوله تعالى(ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون) آل عمران الآية –٦٩–

لما بين سبحانه في الآيات السابقة أن من طريقة أهل الكتاب العدول عن الحق، والإعراض عن قبول الحجة، بين أنهم لا يقتصرون على هذا القدر ، بل يجتهدون في إضلال من آمن بالرسول ﷺ فقال : (ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم..) .

ودت ، أي تمنت ، والمراد بأهل الكتاب هنا : اليهود خاصة ، ولذلك عبر عنهم بطائفة من أهل الكتاب، والإضلال : الخروج عن دين الإسلام.

وقوله تعالى(وما يضلون إلا أنفسهم) أي وما يتخطاهم هذا الإضلال ، وما يعود وباله إلا عليهم بسبب تركهم الحق الذي يعلمونه، والدعوة إلى باطلهم.

وقوله تعالى(وما يشعرون) أي وما يعلمون أن هذا لا يضر المؤمنين.

قال سيد قطب رحمه الله: ((والمسلمون مكفيون أمر أعدائهم هؤلاء ما استقاموا على إسلامهم ، ومالهم عليهم من سبيل ، والله سبحانه يتعهد لهم ألا يصيبهم كيد الكائدين ، وأن يرتد عليهم كيدهم ما بقى المسلمون مسلمين)) ([1])

---

[1]) الظلال ٤١٤/١.

قوله تعالى(وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)آل عمران –٧٢-.

وهذه حيلة وخدعة من خدع اليهود والنصارى لتشكيك ضعفاء المسلمين في الدين.

قال الشهيد سيد قطب رحمه الله : ((وهي طريقة ماكرة لئيمة ، فإن إظهار الإسلام ثم الرجوع عنه يوقع بعض ضعاف النفوس والعقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم وطبيعته يوقعهم في بلبلة واضطراب ، وبخاصة العرب الأميين ، الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتاب ، فإذا رأوهم يؤمنون ، ثم يرتدون حسبوا أنهم إنما ارتدوا بسبب اطلاعهم على خبيئة ونقص في هذا الدين...، وما تزال هذه الخدعة تتخذ حتى اليوم في شتى الصور التي تناسب تطور الملابسات و ناس في كل جيل) ([1])

قوله تعالى(ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) قال سيد قطب : وكان أهل الكتاب يقول بعضهم لبعض تظاهروا بالإسلام أول النهار واكفروا آخره لعل المسلمين يرجعون عن دينهم ، وليكن هذا سرا بينكم ، لا تبدونه ولا تأتمنون عليه إلا أهل دينكم) ([2])

قوله تعالى(قل إن الهدى هدى الله)

أي قل لهم يا محمد : الدين دين الله ، وقد جئتكم به ، فلن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف.

) في ظلال القرآن ٤١٥/١.
) المرجع السابق.

قوله تعالى(أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) فيه أقوال اشهرها قولان :

١- معناه: لا تصدقوا أن يؤتى أحد مما أوتيتم من العلم ، وفلق البحر، والمن والسلوى، وغير ذلك ، ولا تصدقوا أن يجادلوكم عند ربكم لأنكم اصح دينا منهم ، فيكون الكلام كله من كلام اليهود، وجملة (قل إن الهدى هدى الله) معترضة.

٢- أن كلام اليهود تم عند قوله (لمن تبع دينكم) والباقي من قول الله تعالى لا يعترضه شئ من قولهم ، والمعنى : قل يا محمد : إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد ، إلا أن تجادلكم اليهود بالباطل ، فيقولون نحن أفضل منكم ، قال الفراء : معنى (أن يؤتى) أن لا يؤتى(١).

وقال سيد قطب: ((قل إن الهدى هدى الله) ويجئ هذا التقرير رداً على مقالتهم (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون) تحذيرا للمسلمين من تحقيق الهدف اللئيم، فهو الخروج من هدى الله كله ، فلا هدى إلا هداه وحده ، وإنما هو الضلال والكفر ما يريده بهم هؤلاء الماكرون) (٢)

قوله تعالى(قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

) انظر زاد المسير ٤٠٦/١.
) في ظلال القرآن ٤١٦/١.

زيادة تذكير لليهود ، ليتركوا الحسد على نعم الله تعالى ، فكما أعطي الله الرسالة موسى كذلك أعطاها محمدا ﷺ ، فليس الفضل من الله تبعا لشهواتهم ، بل الفضل بيد الله ، وهو لا يخفى عليه من هو أهل لنوال فضله.

قوله تعالى(ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور) آل عمران -١١٩-

قوله تعالى(ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) أي ها أنتم يا معشر المؤمنين خاطئون في موالاتكم لهم إذ تحبونهم ولا يحبونكم ، تريدون لهم النفع وتبذلون لهم المحبه وهم يريدون لكم الضر ويضمرون لكم العداوة.

قوله تعالى(وتؤمنون بالكتاب كله) أي وأنتم تؤمنون بالكتب المنزلة كلها ، وهم مع ذلك يبغضونكم، فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشئ من كتابكم ؟وفيه توبيخ شديد بأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم .

قوله تعالى(وإذا لقوكم قالوا آمنا) وهذا من خبثهم إذ يظهرون أمامكم الإيمان نفاقا. قوله (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) أي وإذا خلت مجالسهم منكم عضوا أطراف الأصابع من شدة الحنق والغضب لما يرون من ائتلافكم ، وهو كناية عن شدة الغيظ والتأسف لما يفوتهم من أذية المؤمنين.

(قل موتوا بغيظكم) هو دعاء عليهم ، أي قل ياحمد أدام الله غيظكم إلى أن تموتوا .

قوله تعالى(إن الله عليم بذات الصدور) أي إن الله عالم بما تكنه سرائركم من البغضاء والحسد للمؤمنين.

ثم اخبر سبحانه بما يترقبون نزوله من البلاء والمحنه بالمؤمنين فقال (إن تمسسكم حسنة تسؤهم) أي إن أصابكم ما يسركم من رخاء وخصب ونصرة وغنيمة ونحو ذلك ساءتهم (وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها) أي وإن أصابتكم ما يضركم من شدة وجدب وهزيمة وأمثال ذلك سرتهم .

فبين تعالى بذلك فرط عداوتهم حيث يسوءهم ما نال المؤمنين من الخير ويفرحون بما يصيبهم من الشدة.

(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا) أي إن صبرتم على ما قدره الله عليكم من شدة، واتقيتم الله في أقوالكم وأعمالكم لا يضركم مكرهم وكيدهم، فشرط تعالى نفي ضررهم بالصبر والتقوى.

قوله تعالى(إن الله بما يعملون محيط) أي هو سبحانه عالم بما يدبرونه لكم من مكائد ، فيصرف عنكم شرهم ، ويعاقبهم على نواياهم الخبيثة.

قوله تعالى(والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما)النساء-٢٧-

أي يريد الله أن يبين لكم طريق الخير والهدى، واليسر والسعادة، ويحثكم عليها كي تتوبوا عن المعاصي فيتوب عليكم.

هذه هي إرادة الله للناس جميعا، فما الذي يريده أعداء الله وأعداء الإنسانية:

((ويريد الذين يتّبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما))

في الذين يتبعون الشهوات أربعة أقوال:

١- هم الزناة . قاله مجاهد

٢- اليهود والنصارى. قاله السدى

٣- اليهود خاصة. قاله ابن جرير

٤- أهل الباطل. قاله عبد الرحمن بن زيد

ولا تناف بين هذه الأقوال ، فأهل الباطل وعلى رأسهم اليهود والنصارى يسعون بشتى الوسائل لصرف المسلمين عما يريده الله لهم من الخير والهدى ، والطهر والعفاف.

فنجد هؤلاء الفاسدين يسعون إلى الفاحشة باسم الحرية ، والمساواة ، وحقوق المرأة ، ونحو ذلك من الأسماء، ويجندون لذلك الجيوش من الرجال والنساء في شتى بقاع الأرض.

ونجدهم يسعون إلى تجهيل الأمة بدينها ، ونجدهم يسعون إلى الفاحشة عن طريق وسائل الإعلام المتعددة.

ولن يرضوا عن الأمة الإسلامية حتى يسلكوا طريقهم حذو القذة بالقذة ولهذا قال تعالى: (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن يضلوا السبيل . والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا)النساء -٤٤-٤٥-.

قوله تعالى(ألم تر) الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤيا من المسلمين

والنصيب : الحظ والنصيب من الشئ ، وإنما قال (أوتوا نصيبا) ولم يقل (أوتوا الكتاب) لإن المقام مقام ذم .

والمراد بهم : اليهود ، أوتوا نصيبا من التوراة.

وقولة (يشترون الضلالة) أي أن اليهود استبدلوا الضلالة وهي البقاء على اليهودية بعد وضوح الحجة على صحة نبوة محمد ﷺ على الهدى.

(ويريدون أن تضلوا السبيل) أي لم يكتفوا بما جنوه على أنفسهم من استبدال الضلالة بالهدى ، بل أرادوا مع ضلالهم أن يتوصلوا بكتمهم وجحدهم أن تضلوا أنتم أيها المؤمنون السبيل المستقيم الذي هو الحق الذي جاء به محمد ﷺ .

قوله تعالى(والله أعلم بأعدائكم) أي هو أعلم بهم منكم ، ويحذركم منهم، فهم يريدون إضلالكم عن عداوة وحسد ، فلا تستنصحوهم .

قوله تعالى(وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) أي إذا كان اليهود بهذه العداوة الشديدة لكم، وهم يملكون العدد والعدة ، فلا تخافوا منهم، فالله هو الذي يتولى أمركم ، و ينصركم عليهم ، فهو يكفيكم شر عدوكم لا غيره.

قوله تعالى(إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا)النساء —١٥٠-١٥١-.

قال ابن كثير رحمه الله: (يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله ، من اليهود والنصارى ، حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان ، فآمنوا ببعض الأنبياء ، وكفروا ببعض ، بمجرد التشهي والعادة ، وما ألفوا عليه آباءهم ، لا عن دليل قادهم إلى ذلك، فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك ، بل بمجرد الهوى والعصبية، فاليهود عليهم لعائن

الله آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد ﷺ...

والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فان الإيمان واجباً بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض ، فمن رد نبوته ، للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيمانا شرعيا ، إنما هو عن غرض وهوى وعصبية) (١)

قوله (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا) أي يريدون أن يتخذوا بين الإيمان ببعض الرسل ، والكفر ببعض، دينا يسلكونه ، مع أنه من كفر برسول فقد كفر بجميعهم قطعا، ولذلك قال : (أولئك هم الكافرون حقا) وذلك لئلا يتوهم أن مرتبتهم متوسطة بين الإيمان والكفر.

قوله (واعتدنا للكافرين عذابا مهينا) أي كما استهانوا بمن كفروا به أهانهم الله بالذل في الدنيا ، والعذاب المهين المخزي في الآخرة.

المبحث الرابع : صدهم المسلمين عن الطريق المستقيم

قوله (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون ، قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون)آل عمران –٩٨-٩٩-.

) تفسير ابن كثير ٦٣١/١.

أهل الكتاب على علم ويقين بصدق محمد ﷺ، وأن الدين الذي جاء به هو الحق ومع ذلك يسلكون شتى الطرق لصرف الناس عن هذا الدين ، فكان لابد من الإنكار عليهم ومواجهتهم بالحقيقة التي هم عليها.

(قل يا أهل الكتاب) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى

(لم تكفرون بآيات الله) الآيات هي الحجج والبراهين ، والمعجزات التي لا تترك مجالا للشك والتردد في الأمر ، وهذه الحجج جاء بها القرآن والتوراة والإنجيل معا لذلك سماهم الله كفارا ، فلا يقال توحيد الأديان الموجودة، والمؤاخاة بين الأديان ، وملاقات الأديان ، وما شابه ذلك ، فإن أهل الكتاب ليسوا على شئ من الهدى، لأن مصدر الدين الذي جاءت به الرسل واحد، ووصى به بعضهم بعضا، فمن كفر ببعضه فقد كفر بالرسل جميعا، وخرج عن وحدة الرسل وتوحيدهم.

قوله تعالى(والله شهيد على ما تعملون) أي الله مطلع على ما تعملونه من الكفر والشر والفساد ، وفيه توبيخ وتهديد.

(قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن ..)

توبيخ ثان، وإنكار على ما يفعلونه من إضلالهم وصرفهم للمؤمنين عن الطريق الصحيح .فبعد أن أنكر عليهم ضلالهم في نفوسهم ، أنكر عليهم إضلالهم لغيرهم.

وقوله(تبغونها عوجا) (تبغون) أي تطلبون ، والإعوجاج ضد الاستقامة.

والمعنى : تصدون عن السبيل المستقيم ، وتطلبون الطريق المعوج.

قوله (وأنتم شهداء) أي وأنتم عالمون أنها سبيل الله المستقيم .

قال ابن عاشور: (وقد أحالهم في هذا الكلام على ما في ضمائرهم مما لا يعلمه إلا الله، لأن ذلك هو المقصود من وخز قلوبهم ، وانثنائهم باللائمة على أنفسهم، ولذلك عقبه بقوله: (وما الله بغافل عما تعملون) وهو وعيد وتهديد ، وتذكير ، لأنهم يعلمون أن الله يعلم ما تخفي الصدور) (١)

قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) آل عمران —١٠٠-.

بعد أن وبخ الله اليهود والنصارى على خداعهم ومكرهم وتضليلهم للمؤمنين، وتوعدهم على ذلك ، نادى المؤمنين محذرا إياهم من الوقوع في شباك المضللين فقال : (يا أيها الذين آمنوا أن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين) هذا هو مطلب اليهود والنصارى أن يروا المؤمنين قد كفروا بربهم ، إنه الحقد الدفين، والحسد المستمر لأمه الإسلام ، لأنهم يرون هذه الأمة قد هديت إلى الطريق المستقيم الذي يسعدهم في دنياهم وأخرهم.

هديت إلى العقيدة الصحيحة، والأخلاق الفاضلة، والتشريع القويم ، ووضوح الهدف والغاية من هذه الحياة الفانية. ولذلك هم كانوا وما زالوا ، وسيظلون يبذلون ما في وسعهم لصرف الأمة عن دينها القويم، والفريق الجماعة من الناس والمراد بها هنا الأحبار والرؤوس. (٢)

وقوله تعالى(وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله)

---

١) التحرير والتنوير ٤/٢٧.
٢) تفسير ابن عطية ٣/ ٢٤٣.

استفهام إنكاري . بمعنى إنكار الوقوع ، لا بمعنى إنكار الواقع، أي أن كفر المخاطبين مستبعد.

قوله تعالى(وانتم تتلى عليكم آيات الله)

جملة حالية من ضمير المخاطبين في (تكفرون) مؤكدة للنفي .

وقوله تعالى(وفيكم رسوله) معطوف على الجملة السابقة ، داخل في حكمها، لأن كلا من تلاوة آيات الله، وإقامة الرسول بين أظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة وازع لهم من الكفر.

قوله (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم)

أي ومن يتمسك بدينه الحق الذي بينه بآياته على لسان رسوله فهو على هدى لا محالة.

المبحث الخامس : عدم رضاهم عن المسلمين حتى يتبعوا أهواءهم.

قوله تعالى(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير)البقرة-١٢٠-.

كان الرسول ﷺ يحرص على إيمان اليهود والنصارى، لأنهم أهل كتاب ويعرفون من الحق مالا يعرفه غيرهم، ولكن الله سبحانه العالم بما في الصدور يقرر هذا الحكم المؤيس من إيمانهم ، برسوله محمد ﷺ وبرسالته التي أرسله بها إلى الناس جميعا وهي الإسلام.

(حتى تتبع ملتهم) والملة هي الدين ، والطريقة، والشريعة، فما المراد بالملة هنا؟ هل ما أنزله على اليهود والنصارى؟ أم التوراة ، والإنجيل المحرفتان؟ أم الطريقة التي يضعونها لأنفسهم ويسلكونها؟

من المتفق عليه أن التوراة حرفت ، وأن الإنجيل حرف كذلك، كما أنه من المتعارف عليه أن اليهود لا يعملون بالتوراة ولا النصارى يعملون بالإنجيل ، حتى أحبارهم ورهبانهم. إذا فالملة هي النظم التي يضعونها، وهذه النظم تختلف من وقت إلى آخر، ومن حاكم إلى حاكم آخر ، حسب الأهواء للحكام ، والمصالح التي يرونها لذلك قال سبحانه في نفس الآية(ولئن اتبعت أهواءهم) فملتهم الهوى والشهوات.

قوله تعالى(قل إن هدى الله هو الهدى) أي ما أنزله الله من الشرع هو الهدى، لا غيره.

قوله تعالى(ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم) اللام مواطئة للقسم ، والهوى: رأى ناشئ عن شهوة لا عن دليل .

قوله تعالى(مالك من الله من ولي ولا نصير) هذا جواب القسم وفيه تحذير لكل مسلم عن أن يتبع أهواء أهل الكتاب، والولي من يتولى أمرك ويرعاك ويحفظك ، والنصير هو الذي يدافع عنك ويحميك من أعدائك.

فمن اتبع اليهود والنصارى في أهوائهم ونظمهم فقد اتخذهم أولياء من دون الله.

وفي الآية التي نحن بصدد تفسيرها وهي (ولن ترضى عنك اليهود..... الخ) ضروب من البلاغة:

١- النفي بـ(لن) ولن ترضى) مبالغة في التيئيس من عدم رضاهم ، لأن (لن) لنفي المستقبل وتأبيده في الدنيا.

٢- التصريح بـ (لا) النافية بعد حرف العطف في قوله (ولا النصارى) للتنصيص على استقلالهم بالنفي ، لأنهم كانوا يظن بهم خلاف ذلك ، لإظهارهم شيئا من المودة للمسلمين ، كما في قوله (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى. .) الآية

وقد تضمنت هذه الآية انهم لا يرضون عن المسلمين حتى يتبعوهم على أهوائهم ، وإن كانوا أخف عداوة من اليهود.

٣- الحصر في قوله (قل إن هدى الله هو الهدى) الضمير ضمير فصل ، والتعريف في الهدى تعريف الجنس الدال على الاستغراق، ففيه طريقان من طرق القصر، هما ضمير الفصل ، وتعريف الجزأين ، للدلالة على أنه لا يوجد هدى غير هدى الله.

٤- التوكيد بحرف (إن) قل إن هدى الله هو الهدى.

٥- القسم الدال عليه اللام المواطئة للقسم في قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) ليدل على تخلي الله عمن أطاع اليهود والنصارى.

قوله تعالى(وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين)البقرة -١٣٥-.

أي قالت اليهود كونوا هودا ، وقالت النصارى كونوا نصارى، و(بل) للإضراب الإبطالي ، أي أن اليهودية التي عليها اليهود باطل والنصرانية التي عليها النصارى باطل ، وقوله (ملة إبراهيم حنيفا) والحنيف المائل عن الشرك الى التوحيد وإنما خص إبراهيم في الذكر، لأن اليهود والنصارى قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم، ودين إبراهيم هو التوحيد الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، والمعنى: قل بل اتبعوا ملة إبراهيم وهي التوحيد الذي اتفق عليه الجميع.

وفي الآية رد على اليهود القائلين بالتشبيه وعلى النصارى القائلين بالتثليث ، وقولهم هذا من إيراد الشبه والتضليل على المسلمين الموحدين.

الفصل الثالث

حربهم للمسلمين وفيه خمسة مباحث.

المبحث الأول: حرصهم على أن يوقعوا المسلمين في مشاق الأمور

قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواهم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون) آل عمران -١١٨-

قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في قوم من المؤمنين، كانوا يصافون المنافقين ، ويواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة ، والصداقة والجوار ، والرضاع ، والحلف ، فنهوا عن مباطنتهم ([1]).

والبطانة: الصاحب للسر الذي يشاور في الأحوال.

و (من دونكم) : أي من غير المسلمين.

و الألو: التقصير في الأمر ، أي لا يقصرون في إفسادكم.

والخبال: الفساد.

و(ودوا ما عنتم) أي تمنوا عنتكم، والعنت : شدة الضرر والمشقة .

وقوله تعالى(قد بدت البغضاء من أفواههم) قال ابن عباس : أي قد ظهر لكم منهم الكذب والشتم ومخالفة دينكم.

وقوله (قد بينا لكم الآيات) أي دلائل سوء نوايا هذه البطانة .

---

[1]) انظر زاد المسير ٤٤٦/١.

وقوله(إن كنتم تعقلون) فيه حث على استعمال العقل في تأمل هذه الآيات وتدبر الأمور.

روى ابن أبي حاتم انه قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن ها هنا غلاما من أهل الحيرة نصرانيا ، حافظ كاتب ، فلو اتخذته كاتبا؟ فقال : قد اتخذت إذن بطانة من دون المؤمنين([1]).

وقال أبو يعلى : وفي هذه الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في أمور المسلمين من العمالات والكتبة.

ولهذا قال احمد : لا يستعين الأمام بأهل الذمة على قتال أهل الحرب ([2]).

وذكر ابن كثير الأثر عن عمر ثم قال : (ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين ، واطلاع على دواخل أمورهم، التي يخشى أن يفشوها إلى الأعداء من أهل الحرب)([3]) .

وقال الكيا الهراسي: (في الآية دلالة على أنه لا يجوز الاستعانة بأهل الذمة في شئ من أمور المسلمين من العمالات والكتابة) ([4])

قال سيد قطب رحمه الله (وما من شك أن هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم هذا الرسم العجيب ، كانت تنطبق ابتداء على أهل الكتاب المجاورين للمسلمين في المدينة ، فنرسم صورة قوية للغيظ الكظيم الذي كانوا يضمرونه للإسلام والمسلمين ، وللشر المبيت، وللنوايا السيئة التي تجيش في صدورهم ، في

) تفسير ابن كثير ٨٩/٣.
) زاد المسير ٤٤٧/١.
) تفسير ابن كثير ٨٩/٣.
) احكام القرآن للكليا الهراسي ٦٨/٢.

الوقت الذي كان بعض المسلمين ما يزال مخدوعا في أعداء الله هؤلاء ، وما يـزال يفضي إليهم بالمودة ، وما يزال بأمنهم على أسرار الجماعة المسلمة ، ويتخذ منهم بطانة وأصحابا وأصدقاء، لا يخشى مغبة الإفضاء إليهم بدخائل الأسرار ، فجـاء هذا التنوير ، وهذا التحذير ، يبصر الجماعة المسلمة بحقيقة الأمر ، ويوعيها لكيـد أعدائها الطبيعيين ، الذين لا يخلصون لها أبدا ، ولا تغسل أحقـادهم مـودة مـن المسلمين وصحبة ،ولم يجئ هذا التنوير وهذا التحذير ليكون مقصوراً علـى فتـرة تاريخية معينة ، فهو حقيقة دائمة، تواجه واقعا دائما ، كما نرى مصداق هذا فيما بين أيدينا من حاضر مكشوف مشهود...) (١)

المبحث الثاني : عداوتهم وإيذاؤهم للمسلمين

قوله تعالى(قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما انزل من قبل وأن أكثركم فاسقون)المائدة –٥٩–.

وصفوا بأهل الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم وإلزامهم بكفرهم بكتابهم.

قال سيد قطب رحمه الله : (إن هذا السؤال الذي وجه الله رسوله إلى توجيهه لأهل الكتاب ، هو من ناحية سؤال تقرير لإثبات ما هو واقع بالفعل منهم، وكشف حقيقة البواعث التي تدفع بهم إلى موقفهم من الجماعة المسلمة ودينها وصلاتها ، وهو من ناحية سؤال استنكاري ، لاستنكار هذا الواقع منهم، واستنكار البواعث الداعية عليه.

وهو في الوقت ذاته توعية للمسلمين ، وتنفير لهم من موالاة القوم) (٢)

---

١) في ظلال القرآن ٤٥٢/١.
٢) في ظلال القرآن ٩٢٣/٢.

ومعنى (تنقمون) أي تعيبون وتنكرون.

قال أبو السعود: (أي ما تنقمون منا ديننا لعلل من العلل إلا لأنا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل من قبل من كتبكم ، ولأن أكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر ، حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لأمنتم به ، وإسناد الفسق إلى أكثرهم، لأنهم الحاملون لأعقابهم على التمرد والعناد) ([1])

وقال سيد قطب رحمه الله : (إن أهل الكتاب ... يعادون المسلمين، لأنهم مسلمون ، لأنهم ليسوا يهودا ولا نصارى ، ولأن أهل الكتاب فاسقون، منحرفون عما أنزله الله إليهم ..، إنهم يحاربون المسلمين هذه الحرب الشعواء، التي لم تضع أوزارها قط ، ولم يخب أوارها طوال ألف وأربعمائة عام ...، إنهم يشنون على المسلمين هذه الحرب المشبوبة لأنهم –قبل كل شئ– مسلمون ، ولا يمكن أن يطفئوا هذه الحرب المشبوبة إلا أن يردوا المسلمين عن دينهم فيصبحوا غير مسلمين، ذلك لأن أهل الكتاب أكثرهم فاسقون، ومن ثم لا يحبون المستقيمين الملتزمين من المسلمين..، فالفسق يحمل صاحبه على النقمة من المستقيم، وهي قاعدة نفسية واقعية ، تثبتها هذه اللفته القرآنية العجيبة، إن الذي يفسق عن الطريق وينحرف لا يطيق أن يرى المستقيم على النهج الملتزم ..، إنها قاعدة مطردة تتجاوز موقف أهل الكتاب من الجماعة المسلمة في المدينة، إلى موقف أهل الكتاب عامة من المسلمين عامة، إلى موقف كل فاسق منحرف من كل عصبة ملتزمة مستقيمة..، هذه الحرب أمر طبيعي يستند إلى هذه القاعدة التي يصورها النص القرآني العجيب.

---

[1]) تفسير ابي السعود ٥٤/٣.

ولقد علم الله سبحانه أن الخير لابد أن يلقى النقمة من الشر، وأن الحق لابد أن يواجه العداء من الباطل ، وأن الاستقامة لابد أن تثير غيظ الفساق ، وأن الالتزام لابد أن يجر حقد المنحرفين. وعلم الله سبحانه أن لابد للخير والحق والاستقامة والالتزام أن تدفع عن نفسها، وأن تخوض المعركة الحتمية مع الشر والباطل والفسق والانحراف، وأنها معركة لا خيار فيها ، ولا يملك الحق إلا أن يخوضها في وجه الباطل، لأن الباطل سيهاجمه، ولا يملك الخير أن يتجنبها ، لأن الشر لابد سيحاول سحقه.

وغفلة –أي غفلة– أن يظن أصحاب الحق والخير والاستقامة والالتزام أنهم متروكون من الباطل والشر والفسق والانحراف، وأنهم يملكون تجنب المعركة، وأنه يمكن أن تقوم هناك مصالحة أو مهادنه، وخير لهم أن يستعدوا للمعركة المحتومة بالوعي والعدة من أن يستسلموا للوهم والخديعة ، وهم يومئذ مأكولون مأكولون)([1])

قال تعالى: (لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) المائدة-٨٢-.

لما ذكر سبحانه من أحوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ما ذكره ، ذكر في هذه الآية أن اليهود في غاية العداوة من المسلمين ، ولذلك جعلهم قرناء للمشركين في شدة العداوة، بل نبه على أنهم أشد عداوة من المشركين ، من جهة أنه قدم ذكرهم على ذكر المشركين ، وذكر سبحانه أن النصارى الين عريكه من

---

[1]) في ظلال القرآن ٩٢٦/٢.

اليهود ،واقرب إلى المسلمين منهم ، وبين سبحانه السبب في ذلك في قوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ، ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ، فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) —المائدة، الآيتان ٨٣-٨٤-.

والقسيس : هو عالم دين النصرانية.

والراهب من النصارى هو المنقطع في دير أوصومعه للعبادة.

فوجود هذه الطائفة من النصارى تقلل العداء بين النصارى والمسلمين وهذه الطائفة متصفة بصفات:

١- علماء بدين النصرانية وعباد.

٢- لا يستكبرون عن قبول الحق ، فهم متواضعون منصفون.

٣- إذا سمعوا القرآن ذرفت أعينهم بالدمع لما عرفوا من الحق كما فعل النجاشي وأصحابه حينما قرأ عليهم جعفر الطيار سورة مريم فبكوا ، واخذ النجاشي تبنة من الأرض وقال: والله ما زاد على ما قال الله في الإنجيل مثل هذا.

٤- لا يكتفون بمجرد البكاء ، ثم يستمرون على عدم الإيمان بالرسول الخاتم، بل يخضعون وينقادون إلى الحق ، وينطقون بملء أفواههم: (ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) أعلنوا الإيمان. بما جاءهم من الحق ، وبادروا إلى الانضمام والتصديق ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وطلبوا من الله

أن يكونوا من أمة محمد الذين يشهدون بالحق على الأمم ، وأن يدخلهم ربهم في زمرة الصالحين المستحقين للجنة.

٥- إن من يعلن إيمانه ، وينضم إلى المسلمين يجد عنتا ومشقة ولو من السفهاء ، فلا يصده ذلك عن الاستمرار في الحق ويردون على السفهاء بقولهم(ومالنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) أي ما الذي يمنعنا عن الإيمان ويصدنا عن اتباع الحق وقد ظهر لنا الصواب ، وتبين لنا الحق المنير. قال أبو حيان : (هذا إنكار واستبعاد لانتفاء الإيمان منهم مع قيام موجبه، وهو عرفان الحق) ([1])

٦- النتيجة لهذه الطائفة التي أعلنت تمسكها بالحق وثبتت عليه رغم ما لاقته من عنت ومشقة: (فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين) والإحسان أعلى درجات الإيمان والإسلام.

فإذا وجدت هذه الطائفة في صفوف النصارى لاشك أنها تؤثر على مجموع النصارى في تخفيف العداء للمسلمين ، وذلك لأن العامة تتأثر بعلمائها العاملين ، وبعبادها الصادقين.

حتى ولو لم توجد هذه الطائفة فان تعاليم الإنجيل تجعل في قلوب اتباعها الرقة والرأفة ، وليس القتال مشروعا في ملتهم، وفي كتابهم: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر، والإيذاء في دينهم حرام ([2]).

أما ما يفعله النصارى اليوم من الاعتداء والظلم والجور في الأرض ، فليس بحسب دينهم ، وإنما بحسب دين اليهود المحرف ، الذي يوجب عليهم إيصال الشر

---

[1] البحر المحيط ٦/٤.

[2] انظر تفسير ابن كثير ١٥٨/٣ ، والفخر الرازي ٦٦/١٢.

إلى من يخالفهم في الدين ، بأي طريق كان ، فان قدروا على القتل فذاك ، والا فبغصب المال أو بالسرقة ، أو بنوع من المكر والكيد والحيلة. ([1])

فهم استطاعوا بمكرهم وكيدهم أن يبعدوا النصارى عن تعاليم الإنجيل وان يرموا بهم في المهالك ، ليحققوا لهم شهواتهم ، وحقدهم وكيدهم ومكرهم على الآخرين ، فاصبح النصارى لعبة بأيديهم يرمون بهم حيث ما أرادوا ، كالكرة بيد الصبيان.

وبهذه السياسة اليهودية ، وغياب الفريق المنصف من النصارى ،أو عدم تأثيره على الساحة الدولية أصبحت مودة النصارى معدومة، أو شبه معدومة ، ولا يعفي ذلك المسلمين عن تقصيرهم في واجبهم نحو النصارى بتعريفهم بالإسلام وبتحذيرهم من دسائس اليهود.

قال تعالى (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور)آل عمران-١٨٦.

الابتلاء : الاختبار . أي لتختبرن في أموالكم بما يصيبها في نفقات الجهاد، وأخذ الأعداء لها، كما حصل للمهاجرين من مكة عندما هاجروا وتركوا أموالهم فيها، والابتلاء بالأنفس : هو القتل والجراح والأسر والسجن ونحو ذلك.

مما يرد عليها من أصناف المتاعب ، والمخاوف والشدائد.

وقد أكد الفعل بلام القسم ، وبنون التوكيد الشدّدة ، لإفادة تحقيق الابتلاء.

قوله (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا)

---

[1]) انظر الفخر الرازي المرجع السابق.

(ولتسمعن) معطوف على ما قبله فهو أخذ حكمه في التأكيد ، وهـذا الأذى بالقول ، سواء كان في حال الحرب أو السلم . ونكـر المفعـول (أذى) لإفـادة العموم، ووصفه بالكثرة أيضا . أي الخارج عن الحد الذي تحتمله النفوس.

والأذى بالقول يختلف باختلاف الأماكن والأزمان.

فانظر الآن مثلا إلى وسائل الإعلام التي يسيطر عليها اليهود والنصارى كيـف تؤذى المسلمين بالقول . تصفهم بالإرهاب ، والأصوليين والمتشددين ، ونحو ذلك من الأوصاف التي تحلو لها. وهذا الابتلاء المذكور مـن المصـائب في الأمـوال ، والأنفس والأعراض يدفعه عن المسلمين بعون الله أمران:

١- الصبر على أقدار الله المؤلمة.

٢- التقوى وهي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه فلابد من هذين الأمرين لانهما مما يجب أن يعزم عليه المسلم.

قال سبحانه (وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) والعـزم هنـا : الصبر على فعل الخيرات وترك المنهيات بثقة وثبات .

المبحث الثالث: استحلالهم لأموال المسلمين

قوله تعالى(ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين)آل عمران- ٧٥-٧٦-.

الآية دالة على انقسامهم إلى قسمين ، بعضهم أهل الأمانة ، وبعضـهم أهـل الخيانة وفيه أقوال:

١- أن أهل الأمانة منهم ، هم الذين اسلموا ، أما الذين بقوا على اليهودية فهم مصرون على الخيانة، لأن مذهبهم أنه يحل لهم قتل كل من خالفهم في الدين وأخذ أموالهم.

٢-أن أهل الأمانة هم النصارى ، وأهل الخيانة هم اليهود، والدليل عليه أن مذهب اليهود يحل قتل المخالف ويحل أخذ ماله بأيّ طريق كان.

٣-ذكر ابن عباس أن رجلا أودع عند عبد الله بن سلام ألفا ومائتي أوقية من ذهب فأدى إليه ، وأودع آخر فنحاص بن عازوراء دينارا فجحده فنزلت الآية) (١)

٤-ذكر ابن عاشور أن الذم لجميعهم أمينهم وخائنهم ، لإنه إذا كان دينهم حسب زعمهم يبيح لهم خيانة غيرهم ، فالأمين حينئذ لا مزية له ، لأن فعله من باب التغالي في المباح(٢).

٥-إن هذا أنصاف للفريق الأمين ، لأن الإنصاف مما اشتهر به الإسلام.

٦-قلت: ويحتمل قول سادس ، وهو أن من وصف منهم بالأمانة ولو لم يسلموا على اعتبار المعاملة التجارية ، وتحقيق الربح المادي ، لإنهم لو لم يتصفوا بها لخسرت تجارتهم ، وفلست شركاتهم . ولا تنافى بين هذه الأقوال والله أعلم .

والقنطار : هو ما يزن مائة رطل من الفضة.

وقيل : ألف ومئتا أوقية من الذهب.

والدينار: وزنه اثنتان وسبعون حبة من الشعير المتوسط.

) انظر الفخر الرازي ١٠٠/٧.
) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٢٨٤/٣.

وقد جعل القنطار والدينار مثلين للكثرة والقلة.

ومعنى قوله (مادمت عليه قائما) أي ملحا ومتابعا ومطالبا.

قوله تعالى(ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل)

أي فعلوا الخيانة ، لأنهم قالوا لا حرج ولا إثم علينا في اخذ أموال الأميين ومرادهم بالأميين : قيل العرب ، وقيل :كل من ليس من أهل الكتاب.

قوله تعالى(ويقولون على الله الكذب) أي يكذبون على الله بقولهم : قد أحل الله لنا أموال العرب ، أو أموال من ليس على ديننا.

(وهم يعلمون) أنه كذب محض ، وافتراء ، لتحريم الغدر والخيانة عليهم ، كما هو في التوراة.

قوله (بلى من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين) أي ليس الأمر كما زعموا ، بل عليهم فيه إثم لكن من أدى الأمانة منهم، وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وأحبه، واتقى الله بامتثال أوامره واجتناب محارمه ، فان الله يحبه ويكرمه ، ولا محبه ولا كرامه لمن لا يتصف بتلك الصفات.

قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم)التوبة-٣٤-.

الكثير من الأحبار والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل وهم يعلمون أنه باطل.

والباطل يشمل وجوها كثيرة منها: الرشوة ، ومنها تغيير الأحكام الدينية لموافقة أهواء الناس ومنها بيع صكوك الغفران ،ومنها الربا ، ومنها جحد الأمانات، وغير ذلك من الأساليب المتعددة ، والصور المتنوعة.

((ويصدون عن سبيل الله)) أي عن الطريق إليه وهو دين الإسلام وعن الإيمان بمحمد ﷺ وعما كان حقا في شريعتهم قبل نسخها بسبب أكلهم لأموال الناس بالباطل. ([1])

المبحث الرابع : تعاونهم مع المشركين في الحرب ضد المسلمين

قوله تعالى(وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا)الأحزاب –٢٦-.

هذه الآية لها ارتباط بما قبلها وما بعدها ، وهي جميعها تتحدث عن غزوة الأحزاب.

وسبب تلك الغزوة أن نفرا من أشراف بني النضير الذين كانوا قد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى خيبر بعد نقضهم للعهد ، ومحاولتهم لاغتيال النبي ﷺ، وقد كانوا يستحقون عقوبة الإعدام ، لكن الرسول ﷺ اكتفى بنفيهم إلى خيبر ، ومصادرة بعض متطلبات هؤلاء الأشراف من اليهود . ومنهم سلام بن أبي الحقيق ، وسلام بن مشكم ، وكنانه بن الربيع خرجوا إلى مكة واجتمعوا بأشراف قريش وألبوهم على حرب الرسول ﷺ ووعدوهم من انفسهم النصر والإعانة، فأجابوهم إلى ذلك ، ثم خرجوا إلى غطفان فدعوهم ، فاستجابوا

---

[1]) فتح البيان في مقاصد القرآن للعلامة صديق حسن خان ٥/ ٢٩٢.

لهم أيضا ، وخرجت قريش في أحابيشها ومن تابعها، وقائدهم أبو سفيان صخر بن حرب وعلى غطفان عيينة بن حصن،والجميع قريب من عشرة آلاف ، وكانت بنو قريظة –وهم طائفة من اليهود- لهم حصن شرقي المدينة ،ولهم عهد مع النبي ﷺ وذمة ، وهم قريب من ثمانمائة مقاتل ، فذهب إليهم حيي بن أخطب النضيري فلم يزل بسيدهم كعب بن أسد حتى نقضوا العهد ، ومالئوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما بلغ الرسول نقضهم العهد ساءه ذلك ، وعظم الخطب واشتد الأمر وضاق الحال ، كما قال الله تعالى (هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا) ([1])

فلما أيد الله المؤمنين ، وكبت الأعداء من قريش وغطفان وردهم خائبين ، وكفى الله المؤمنين القتال ، رجع النبي ﷺ إلى المدينة منصورا،ووضع الناس السلاح، فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعثاء المرابطة – في بيت أم سلمة رضي الله عنها- إذ تبدى له جبريل عليه السلام فقال : أوضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال ﷺ : (نعم) قال : ولكن الملائكة لم تضع أسلحتها، وهذا أوان رجوعي من طلب القوم، ثم قال : (إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة) وكانت على أميال من المدينة، وذلك بعد صلاة الظهر وقال ﷺ :(لا يصلين أحدكم العصر إلا في بني قريظة) فسار الناس في الطريق ، فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فصلى بعضهم في الطريق ، وقالوا : لم يرد الرسول صلى الله عليه وسلم إلا تعجيل المسير ، وقال آخرون: لا نصليها إلا في بني قريظة ، فلم يعنف الرسول واحدا من الفريقين.

---

[1]) الآية ١١ من سورة الاحزاب.

وتبعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمساوعشرين ليلة، فطلبوا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ سيد الأوس ، لأنهم كانوا حلفاءه في الجاهلية ، فاستدعاه الرسول ﷺ وقال(إن هؤلاء قد نزلوا على حكمك ، فاحكم فيهم بما شئت) فقال رضي الله عنه : وحكمي نافذ عليهم ؟ قال ﷺ : (نعم) فقال رضي الله عنه : إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم ، وتسبى ذريتهم وأموالهم ، فقال رسول الله ﷺ: (لقد حكمت بحكم الله تعالى من فوق سبعة أرقعة) أي سماوات – ونفذ الحكم الذي حكم به سعد بطلب من بني قريظة ، قال محمد أحمد باشميل : (ولم يكتف بنو قريظة بنقض العهد وإلغاء الحلف الذي بينهم وبين المسلمين ، بل سارعوا إلى وضع أيديهم في أيدي الغزاة ، الأمر الذي ضاعف من محنة المسلمين وزاد من كربهم..، وكم هو فظيع أن ترى من حليفك قد انحاز إلى أعدائك الغزاة، واشهر السلاح ليضربك به من الخلف في الوقت الذي تتوقع فيه أن يكون واقفا بهذا السلاح إلى جانبك لصد العدوان عليك ، كحليف يزن كلمته التي أعطاها بميزان الشرف ، ولكنهم اليهود وكفى) ([1])

ولهذا قال : (وأنزل الذين ظاهروهم) أي عاونوا الأحزاب وساعدوهم على حرب النبي صلى الله عليه وسلم.

(من أهل الكتاب) يعني بني قريظة ، وهم طائفة من اليهود لهم حصن في شرقي المدينة، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم على عهد معهم وذمة، ينص هذا العهد بأن يلتزم الفريقان معا بواجب الدفاع عن المدينة، ضد أي عدوان خارجي ضد أي

---

[1]) غزوة خيبر صـ١٨.

منهما، كما ينص على عدم اعتداء أحد الفريقين على الآخر. قوله (من صياصيهم) أي حصونهم.

وقذف في قلوبهم الرعب) أي الخوف ، جزاء وفاقا.

قال ابن كثير: (لأنهم كانوا مالأوا المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس من يعلم كمن لا يعلم ، فأخافوا المسلمين ، وراموا قتلهم ليعزوا في الدنيا ، فانعكس عليهم الحال، وانقلب إليهم الفال، لما انشمر (١) المشركون ، وراحوا الصفقة المغبون ، فكما راموا العز ذلوا، وأرادوا استئصال المسلمين فاستؤصلوا وأضيف إلى ذلك شقاوة الآخرة ، فصارت الجملة أن هذه هي الصفقة الخاسرة. ولهذا قال: (فريقا تقتلون وتأسرون فريقا) فالذين قتلوهم هم المقاتلة ، والأسرى هم الأصاغر والنساء) (٢)

قوله تعالى(وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شئ قديرا) سورة الأحزاب الآية ٢٧- يعني عقارهم، ونخيلهم ومنازلهم.

(وأموالهم) من الذهب والفضة والحلي والعبيد والإماء.

(وأرضا لم تطأوها) أي لم تطأوها بأقدامكم بعد وهي مما سنفتحها عليكم . ويدخل في ذلك كل ما فتحه المسلمون من فارس ، والروم ، ومكة وكل ما ظهر عليه المسلمون إلى يوم القيامة.

---

١) انشمر : أي اسرعوا راجعين الى مواطنهم.
٢) تفسير ابن كثير ٣٩٩/٦.

قوله تعالى(وكان الله على كل شئ قديرا) هذا التعقيب يناسب مع ما سبقه من النصر ، وقد اسند سبحانه النصر الى نفسه في تلك المعركة كلها ، تثبيتنا للمسلمين، وتطمينا لنفوسهم ليستيقنوا حقيقة النصر ، وأنه من عند الله سبحانه.

قلت : وما أشبه التحالف اليوم ضد الإسلام والمسلمين الذي تدفعه إسرائيل تحت راية أمريكا بالتحالف الذي حرض عليه اليهود بالأمس للقضاء على الإسلام في المدينة ، ونحن على ثقة من نصر الله لعباده المؤمنين في كل زمان ومكان.

المبحث الخامس : تعاون اليهود مع المنافقين في الحرب ضد المسلمين

قال تعالى : (إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعدما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم) محمد الآيتان ٢٥-٢٦-.

وقال سبحانه ((الم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون . أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون)) المجادلة الآيتان ١٤-١٥.

وقال تعالى : ((ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون)) الحشر الآيتان ١١-١٢.

فالذين ارتدوا على أدبارهم هم المنافقون . والذين كرهوا ما أنزل الله : هم اليهود وفي سورة المجادلة بين الله سبحانه أن المنافقين يتولون قوماً غضب الله عليهم . والمغضوب عليهم هم اليهود والتولي : المحبة والمودة والمناصرة ، وقد كان المنافقون يجالسون الرسول ﷺ ثم ينقلون حديثه وأسراره مع المؤمنين إلى اليهود . وهكذا نجد الخونة والعملاء لليهود في كل عصر من العصور يتعاونون معهم ضد المسلمين ولكن هذا التعاون مهما كان نوعه فعاقبته الذل والخزي لأصحابه في الدنيا والآخرة ، كما بين الله سبحانه ذلك في قوله ((أعد الله لهم عذاباً شديداً إنهم ساء ما كانوا يعملون)) وقوله سبحانه ((ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون)) وغير ذلك من الآيات .

والمراد بالأخوة في قوله ((يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب .....)) أخوة الكفر ، والمحبة التي تجمع بينهم على مصالح مشتركة كما يرونها ، وهي في حقيقة أمرها تكون عليهم خزياً وندامة في الدنيا والآخرة

وهذا هو آخر البحث

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مراجع البحث : ـ

١) جامع البيان عن تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢) أحكام القرآن لعماد الدين محمد الطبري المعروف بالكيا الهراسي (ت٥٠٤هـ))

٣) زاد المسير في علم التفسير لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٦هـ).

٤) مفاتيح الغيب في تفسير القرآن . لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسن الرازي (ت ٦٠٦هـ)

٥) تفسير القرآن، العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ) .

٦) البحر المحيط : لأبي حيان محمد بن يوسف (ت ٧٥٤هـ) .

٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : لأبي السعود محمد بن محمد القمادي (ت ٩٥١هـ) .

٨) فتح البيان في مقاصد القرآن تأليف صديق حسن خان.

٩) التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور .

١٠) في ظلال القرآن : للشهيد سيد قطب .

١١) صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ)

١٢) مجمع الزوائد : للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي(ت ٨٠٧هـ)

١٣) غزوة خيبر : محمد أحمد باشميل .

مستقلات التكليف عند علماء الأصول

د. ملاطف صلاح

مسقطات التكليف عند علماء الأصول

د. ملاطف صلاح

كلية الشريعة – جامعة صنعاء

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد الصادق الأمين ، وبعد . فهذا البحث (مسقطات التكليف عند علماء الأصول) لكن قبل الكلام على مسقطات التكليف يجدر بنا أن نذكر لمحة بسيطة عن شروط التكليف حتى يتضح لنا ما هي مسقطا ت التكليف .

اشترط علماء الأصول لصحة التكليف بالفعل المحكوم فيه شروطا منها

١- أن يكون الفعل المحكوم فيه معلوماً للمكلف علماً تاماً

٢- أن يعلم المكلف أن التكليف صادر ممن له سلطة التكليف وهو الله سبحانه وتعالى حتى يكون التنفيذ طاعة وامتثالا لأمر الله .

٣- أن يكون الفعل في مقدور المكلف وإمكانيته فعلا أو تركا لأن المقصود من التكليف الامتثال فإذا لم يكن في قدرة المكلف وطاقته لم يتصور الامتثال لأن الله يقول ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾[1] .فلا يصح التكليف إلا لمن وجدت فيه أهلية التكليف فالأهلية معناها صلاحية الإنسان لصدور الأفعال منه على وجه يعتد بها شرعاً فإذا صلى أو صام أو حج أو فعل أي واجب كان فعله معتبراً شرعاً ومسقطاً عنه الواجب أو صدر منه عقد أو تصرف أو جناية على غيره في نفس أو عرض أُخذ بجنايته وعوقب عليها بدنياً أو مالياً .

سورة البقرة آية (٢٨٦)

وهذه الأهلية لا تعتبر أهلية كاملة إلا لمن بلغ الحلم عاقلا رشيداً ،ويصبح عند إذ أهلا لتكليف يجب عليه أداء فعل ما أمر به وترك واجتناب ما نهي عنه فإذا أزيلت أهلية التكليف بعارض من العوارض فيصبح هذا العارض مسقطا للتكاليف أو لبعضها وهذه العوارض المسقطة للتكليف قد تكون عوارض سماوية إلهية أو عوارض مكتسبة ، فالعوارض الأهلية هي التي لا اختيار للإنسان في اكتسابها كالجنون ، والعته ، والإغماء، و النوم ، والمرض، والحيض، والنفاس ، و الموت . والعوارض المكتسبة هي ما كان للإنسان فيها كسب و اختيار وهي نوعان :

الأول : ما يكون من فعل الإنسان وكسبه كالجهل والسكر والخطأ .

الثاني : ما يكون من غيره وهو الإكراه .

وسنذكر تفصيل ذلك كله .

العارض الأول – الجنون :

هو اختلال العقل بحيث يمنع جريان الأفعال والأقوال على نهج العقل إلا نادراً.(١)

وهو نوعان : أصلي ، وطارئ.

فالأصلي : أن يبلغ الإنسان سن الرشد مجنوناً .

والطارئ : أن يبلغ الإنسان عاقلاً ثم يطرأ عليه الجنون،أو يصيب الإنسان في بعض الأوقات دون بعض.

والجنون بنوعيه لا يؤثر في أهلية الوجوب. لأنها ثابتةٌ على أساس الحياة في الإنسان ، بخلاف أهلية الأداء فإن الجنون يؤثر فيها فيعدمها ، لأنها تثبت بالعقل والتمييز، والمجنون لا عقل له ولا تمييز عنده ، فحكمه حكم الصغير غير المميز في تصرفاته

١-الجرجاني: الشريف علي بن محمد .(ت ٨١٦هـ) ، كتاب التعريفات ص٧٩ ،ط دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

وأفعاله ، فلا تصح عقوده ولا تصرفاته لانعدام القدرة على فهم الخطاب ،ولعدم وجود العقل الذي هو مناط التكليف، لان التكليف مرفوع عنه .

لقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة (عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل) (١) .

فكل عبادة بدنية أو كفارات فهو غير مكلف بها . هذا كله في حكم المجنون الأصلي.

أما في الجنون الطارئ وهو الذي يصيب الإنسان في بعض الأوقات دون البعض الآخر، فإن هذا النوع لا يؤثر على أهلية الوجوب من باب أولى .أما أهلية الأداء فإنه يتأثر بها في حالة جنونه. أما في حالة الإفاقة فإن تصرفاته و أفعاله تكون نافذة صحيحة. أما العبادات الواجبة على المكلف كالصلاة والصوم والزكاة، فإن كان الجنون ممتداً أى لا حد له، فإنها تسقط عنه لعدم تمكنه من الأداء لقيام الجنون وللحرج في الأداء بعد الإفاقة بطريق القضاء ، أما إذا كان الجنون غير ممتد ، أى طارئ يصيب الإنسان في وقت دون وقت ، فإن أداء العبادات واجب عليه بعد الإفاقة حتى وإن كان بعد فوات الوقت على سبيل القضاء ، لأن الأداء غير ممكن في حال الجنون ، فيبقى الوجوب ثابت.

الحَجْر على المجنون

الحجر في اللغة بفتح الحاء وسكون الجيم : المنع وفي الاصطلاح : منع نفاذ التصرفات القولية، بسبب الرق أو الجنون، أو سوء التصرف(١).

٢- الحديث رواه الترمذي في سننه في كتاب الحدود باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد رقم ١٤٢٣،ج٤ ص٣٢ ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ،و أورده البغوي في شرح السنة طبع المكتب الإسلامي دمشق ج٩-٢٢٠

فالجنون متى طرأ على الإنسان فإنه سبب من أسباب الحجر عليه، دون توقف على حكم من القضاء، فأقواله غير معتد بها حتى لو كانت نافعة له نفعاً محضاً، فهو في هذه الحالة مثل الصغير غير المميز ، فصحة الأقوال والاعتداد بها يكون بالعقل والتمييز، إلا أن الجنون إن كان يعتريه تقطعاً بأن كان المجنون يفيق في بعض الاوقات ، فإن حكم تصرفاته في حالة إفاقته ووعيه تأخذ حكم تصرفات العاقل (٢)

العارض الثاني : العته :

العته: اختلال في العقل من غير جنون بحيث يصير المصاب بها مختلط الكلام ، فاسد التدبير ، إلا أنه لا يضرب ولايشتم (٣)

والفرق بين المعتوه والمجنون ، أن المعتوه يصدر منه خلط في الكلام والتصرفات بحيث يتصرف احياناً تصرف العقلاء واحياناً يتصرف تصرفاً غير صحيح لكن يصحب هذا التصرف هدوء،بخلاف المجنون فإنه لا يكون مميزاً للصحيح من عدمه، فعقله مستور ويحول بينه وبين الإدراك الصحيح ويصحبه اضطراب وهيجان . ولذا الحق المعتوه في احكامه بالصبي المميز وأُلحق المجنون بالصبي ، غير المميز، وعلى هذا فيُعد المعتوه الذى يكون معه إدراك وتمييز ولكن لايصل الى درجة العقلاء الراشدين ناقص

١- الفيومي احمد بن محمد ، (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير ص٤٧،ط مكتبة لبنان بيروت . قلعجي : محمد رواس معجم لغة الفقهاء ص ١٧٥ ، ط دار النفائس بيروت ، الجرجاني التعريفات ص٧٢ ، سعدي ابو جيب القاموس الفقهي ص٧٧، ط دار الفكر دمشق .

٢- الإزميري :محمد ، حاشية مرآة الاصول ٤٣٩/٢،ط اسطنبول ١٣٠٩هـ ،د.عبد الكريم زيدان الوجيز في اصول الفقه ص١٠٣ ، ط مؤسسة قرطبة بيروت ، محمد سلام مدكور ، مباحث الحكم ٢٩٩/٢ ، ط دار النهضة العربية القاهرة .

٣- الفيومي المصباح المنير ص١٤٩، ابو جيب القاموس الفقهي ص٢٤٢، قلعجي معجم لغة الفقهاءص٤٣٩.

أهلية الأداء فتصح منه التصرفات النافعة نفعاً محضاً ، وتكون التصرفات المترددة بين الأمرين متوقفة على إجازة الولي .

كما لا تجب عليه العقوبات ، ولا يصح منه طلاق ولا عتاق حتى ولو أذن وليه ، وهو في نفس الوقت مطالب بما يترتب عليه من الإتلاف دون ما يترتب عليه من العقوبات والعقود. (١)

العارض الثالث :- الإغماء :

الإغماء :هو تعطل القوى المدركة والمحركة حركة إرادية بسبب مرض يُعرِض الدماغ أو القلب للخطر، وباعتبار أن الإغماء مرض يمنع فهم الخطاب ، لذا جعلوه ناقضاً للصلاة في كل حال. وليست للمغمى عليه أهلية أداء لأن أهلية الأداء تقوم على التمييز بالعقل ولا تمييز للإنسان في حالة الإغماء، وعلى هذا لا يعتد بشيء من أقواله مطلقاً ، ولا يؤاخذ بأفعاله مؤاخذة بدنية، فلو وقع الإنسان أثناء إغمائه على شخص فقتله لم يعاقب بدنياً ، لانتفاء القصد منه بسبب عدم تمييزه واختياره، ولكن يؤاخذ مؤاخذة مالية فتجب عليه ضمان ما يتلفه من مال أو نفس بفعله، وإنما وجب عليه الضمان في إتلاف النفس والمال، لأن النفس والمال معصومان شرعاً . و أما بالنسبة للعبادات فإنها لا تجب على المكلف في حالة الإغماء ، إلا أن وجوب العبادة لا يسقط وعليه القضاء بعد الإفاقة ، ولاسيما إذا كان الإغماء غير ممتد لكن لو امتد الإغماء فإن الوجوب يسقط لانعدام الأداء حقيقة بالإغماء ، وتقديراً للحرج بالقضاء بعد الإغماء.

٦- عبدالعزيز البخاري (ت ٧٣٠هـ) ، كشف الأسرار ٢٧٥/٤،ط دار الكتاب العربي بيروت . عبد اللطيف بن عبد العزيز بن ملك (ت ٧١٠هـ) ، شرح المنار وحواشيه ،ط اسطنبول ص٩٥٠ . سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) ، شرح التلويح على التوضيح ١٦٧/٢، ط محمد علي صبيح ، سلام مدكور ، مباحث الحكم عند الأصوليين ٣٠٠/١، د.عبد الكريم زيدان ، الوجيز في أصول الفقه ص ١٠٤، د. زكى الدين شعبان أصول الفقه ص٢٨٢ ، ط دار النهضة العربية .

العارض الرابع :النوم :

النوم حالة طبيعية يحصل فيها فترة راحة للبدن ، والعقل، تصاب خلالهـا الإرادة ، والوعي جزئياً وكلياً ، وتتوقف فيها الوظائف البدنية (١)

والنوم ينافي أهلية الأداء ، فمادام الإنسان نائماً، فليست له أهلية أداء ، لأن الأهلية تقوم علي التمييز بالعقل، ولا تمييز للإنسان في حالة نومه.ولذا لا يعُتد بشيء من أقواله مطلقاً ،ولا يؤاخذ بأفعاله مؤاخذة بدنيةً،فلو جنا الإنسان وهو نائم لم يعاقب بـدنياً، لانتفاء القصد منه ، ولكن يؤاخذ مؤاخذة مالية، فتجب عليه الدية ، وضمان كل مـا أتلفه بفعله . كما تجب عليه العبادة ، فلا تسقط عنه بالنوم وعليه القضاء لأن القضـاء ممكن ولاسيما أن النوم عادة لايطول ولا يحصل حرج في قضاء ما فاته من العبـادة ، وقد قال الرسول صلي الله عليه وسلم (من نام عن صـلاة أو نسـيها فليصـلها إذا ذكرها)(٢) .

العارض الخامس :المرض :

المرض: كل ما خرج بالكائن الحي عن حد الصحة والاعتدال من علة، أو تقصـير في أمر .

٧- قلعجي معجم لغة الفقهاء ص٤٩٠، الجرجاني التعريفات ص٢٤٨، ابراهيم مصطفى واحمد حسن الزيات ، المعجم الوسيط ٩٧٤/٢، مجمع اللغة العربية القاهرة ، ط دار احياء التراث .بيروت

٨- أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الفائتة ج١٩٣/٥، نشر دار الإفتاء الرياض مع النووي ، وراجع الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر ت ٧٩٤هـ ، البحر المحـيط ٤٣٧/١ ، ط وزارة الأوقاف الكويت ، و صفي الدين محمد بن عبد الرحيم الأرموي الهندي ، (ت ٧١٥هـ) ، نهاية الوصول في دراية الأصول ١١٢٤/٣،ط المكتبة التجارية مكة ، وسليمان بن عبد القوي بن عبـد الكـريم الطـوفي ،(ت ٧١٦هـ) ، شرح مختصر الروضة ١٨٨/١، تحقيق د. عبداله محسن التركي ،ط مؤسسة الرسالة ، د. بـدران ابو العينين بدران أصول الفقه الإسلامي ص٢٢٨، ط دار النهضة العربية القاهرة .

ومنه مرض الموت : العلة المُقعِدة المتصلة بالموت . (١)

والمراد بالمرض هنا غير الجنون ، فالمريض كامل الأهلية بنوعيها الوجوب والأداء، سواء كان في حقوق الله أو حقوق العباد. إلا أن المرض يؤثر في بعض الأحكام الصادرة عن المريض، مع أنه يتمتع بكامل الأهلية لأنه لا يؤثر المرض في إيجاد خلل في الذمة والعقل ،إلا أن المرض قد يكون أحياناً سبباً من أسباب العجز عن القيام بما كُلف به الإنسان فقد شُرعت العبادات علي المريض بالقدرة الممكنة، فيصلي قاعداً ، أو مستلقياً، أو مضطجعاً أو علي جنب، وبما أن المرض سبب للموت عادة ، والموت علة لاستخلاف المورث ، فكان المرض سبباً لتعلق الوارث والدائن بمال المريض ، وسبباً من أسباب الحجر علي المريض في مرض الموت ، فإذا كان على المريض دين يستغرق ماله كله أو أكثر من الثلث فُيحجر عليه إذا وهب ماله أو تصدق بأكثر من الثلث، فيكون الحجر بقدر ما يتعلق به حقوق الدائنين أو الورثة، فإذا تصرف المريض في حال مرض الموت وهو المرض الذي يكون به الإنسان عاجزاً عن القيام بمصالحه خارج البيت والغالب فيه مرض الموت: بهبة أو بيع محاباة فإنه يقع الفسخ في الحال. ولا تنفذ تبرعاته في مرض الموت الا في حدود الثلث . ولصيانة حق الوارث والدائن يثبت الحجر على المريض بالقدر الذي يتحقق به صيانة هذا الحق ، وهو مقدار الثلثين بالنسبة للوارث، وجميع المال في حق الدائن إن كان الدين مستغرقاً للتركة ، أو بمقدار

١- احمد حسن الزيات المعجم الوسيط ٨٧٠/٢ ، ط مجمع اللغة القاهرة ، قلعجي معجم لغة الفقهاء ص٤٢٢، الجرجاني التعريفات ص٢١١ .

الدين إن لم يكن مستغرقاً ويستثنى من هذا ما كان ضرورياً كالنفقة على نفسه واجرة مداواته فلا حجر عليه في ذلك (١)

العارض السادس : الحيض والنفاس

الحيض : دم يخرج من رحم المرأة البالغة لا داء فيها ولا حَبَلَ ولم تبلغ سن اليأس في ايام معدودة كل شهر(٢)

النفاس : مدة تعقب الوضع لتعود فيها الرحم والأعضاء التناسلية إلى حالتها السوية قبل الحمل ، وهي نحو ستة أسابيع ، (٣)

الحيض والنفاس يشتركان في الصورة والحكم فهما لا يسقطان أهلية الوجوب ولا أهلية الأداء ، لوجود الذمة والعقل والقدرة على الأداء ، إلا أنه قد ثبت أن الحيض والنفاس عارض لاداء نوع من العبادة وهي الصلاة والصوم ، لأنه قد ثبت بالنص أن الطهارة عن الحيض والنفاس شرط لاداء الصلاة والصوم ، لكونها احداثاً غير ظاهرة ، فاذا لم تتحقق الطهارة فيها لم يصح اداء العبادة المذكورة، إلا أنه يلزم القضاء في الصوم دون الصلاة، فوجوب القضاء على الحائض والنفساء للصوم جاء لعدم وجود

١٠- سعد الدين التفتازاني شرح التلويح على التوضيح : ١٧٧/٢، الخبازي المغني في اصول الفقه ص٣٧٨، عبد العزيز البخاري كشف الاسرار ٣٠٧/٤، الازميري حاشية على مرقاة الاصول ٤٤٦/٢-٤٤٧، د. عبد الكريم زيدان الوجيز في اصول الفقه ص١٠٦-١٠٧ ، د. وهبه الزحيلي اصول الفقة ١٧٣/١.

٢- الجرجاني التعريفات ص٤٩، احمد حسن الزيات المعجم الوسيط ٢١٠/١، قلعهجي معجم لغة الفقهاء ص١٨٩.

٣-احمد حسن الزيات وزملاؤه المعجم الوسيط ٩٤٩/٢، قلعهجي معجم لغة الفقهاء ص٤٨٣.

الحرج في قضاء الصوم لأن الحيض لا يستوعب الشهر والنفاس يعتبر من النوادر الذى لايتكرر إلا بعد مضى سنوات ، فلا حرج في القضاء.(١)

العارض السابع: المـــوت :

الموت : ضد الحياة ، وهو انسحاب الروح من البدن عندما يصبح البدن غير أهـــل لبقاء الروح فيه. (٢)

فالإنسان بموته يكون عاجزاً عجزاً تاماً يترتب على هذا العجز انعدام أهلية الأداء ، فتسقط عنه جميع التكاليف الشرعية لأنه يشترط القدرة لأداء التكاليف ولا قدرة مـــع الموت .

الأحكام المتعلقة بالميت : نوعان .

أحكام الدنيا ، وأحكام الآخرة .

أما أحكام الآخرة فهي أربعة أنواع :

النوع الأول : ما يجب له على الغير من الحقوق المالية والمظالم .

النوع الثاني : ما يجب عليه من الحقوق والمظالم .

النوع الثالث : ما يلقاه من ثواب بسبب الطاعات .

النوع الرابع : ما يلقاه من عقاب بواسطة المعاصي والتقصير في **العبادات** ،

١- الآمدي : علي بن احمد بن ابي علي الملقب بسيف الدين ،ت ٦٣١هـ،الاحكام في اصول الأحكـــام ١١٧/١، ط صبيح القاهرة ، الخبازي المغنى في أصول الفقه ص٢٧٩، عبد العزيز البخاري كشف الاســـرار ٤/ ٣١٢، سعد الدين التفتازاني شرح التلويح علي التوضيح ١٧٦/٢ .

٢- الفيومي المصباح المنير ص٢٢٣، الجرجاني التعريفات ص٢٣٥، احمد حسن الزيات المعجم الوســـيط ٢/ ٨٩٨، قلعهجي معجم لغة الفقهاء ص٤٦٨،سعدي ابو جيب القاموس الفقهي ص٣٤٢ .

أما أحكام الميت التي تتعلق بالدنيا فهي أربعة أنواع أيضاً :

النوع الأول : التكاليف التي كانت لازمة على المكلف كالصلاة والزكاة وسائر القربات ، فإنها تسقط بالموت، لأنه لا بد من الاداء مع القدرة، ولاقدرة مع الموت، ولهذا فقد ذهب بعض الحنفية إلى سقوط الزكاة عن الميت اذا مات ولم يخرجها ولم يوص بها ، وبهذا لايجب اداؤها من التركة، لان فعل المكلف هو المقصود في حقوق الله وقد فات بالموت .

وعند الجمهور من الشافعية والحنابلة والمالكية : أن من مات قبل أدائها وجب إخراجها من تركته ولا تسقط بموته(١)

النوع الثاني : ما كان لغير الميت ، مثل المرهون ، والمأجور والمغصوب ، والأمانات ، والودائع ، فهذه تبقى ببقاء العين ولا تنتهي بموت الميت ،لان الحق يتعلق بذاتها ، أما اذا كانت حقوق العباد تتعلق بالمال كالدين، فإن كان الميت قد ترك مالاً أُخرج الدين منه، وإن كان قد تكفل بالدين انسان قبل الموت فيحال عليه ، إلا أن الامام أبا حنيفة قال : إن الكفالة عن الميت المفلس لاتصح ، بخلاف الجمهور فإن الكفالة تصح فلا تبرأ ذمة المكلف بالموت ولاسيما وهى حقوق العباد ، فيطالب بها في الآخرة ، ويطالب بها في الدنيا اذا ظهر للميت مال أو تبرع أحد عن الميت ، وكون الميت عاجزاً عن دفع ما عليه فتصح الكفالة لبراءة ذمته كما لوكان حياً مفلساً ، بدليل أنه أُتي بجنازة رجل من الانصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم

١- محمد بن احمد بن رشد القرطبي ت ٥٩٥هـ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ٢٤٩/١ ،ط مصطفى الحلبي القاهرة ، عبد الله بن احمد بن قدامة ت ٦٢٠هـ ،المغني على مختصر الخرقي ١٠٠/٣،الناشر مكتبة القاهرة مصر د.وهبه الزحيلي الفقه الإسلامي و أدلته ٨٩٥/٢ ،ط دار الفكر دمشق .

لأصحابه: هل على صاحبكم دين ؟ فقالوا نعم درهمان أو ديناران فامتنع عن الصلاة عليه، فقال أبو قتادة: هما عليّ يا رسول الله فصلى عليه بعد ذلك .

النوع الثالث :ما كان واجبا عليه مشروعاً للغير بطريق الصلة كنفقة المحارم ، وصدقة الفطر ونحو ذلك فإنه يبطل بالموت إلا أن يوصى فيصبح إخراجه من الثلث .

النوع الرابع : ما شرع حقاً للميت وكان هذا الحق ضرورياً للميت مثل مؤن التجهيز والدفن، وقضاء الديون التي عليه فتبقى التركه حتى تؤدى منها الحقوق، وينفق منها بقدر ما تنقضي بها الحاجه ثم تأتي بعد ذلك تنفيذ الوصايا في حدود الثلث .

وأما ماكان خارجاً عن حاجة الميت ولايستفيد منه بعد موته كالقصاص الثابت له في حياته ، فإن هذا كان حقاً له في حياته أما بعد موته فينتقل هذا الحق إلى ورثته ، فلهم المطالبة بالقصاص أو العفو عن الجاني أو أخذ الدية وكون الميت لايستفيد منه بعد موته لأن عقوبة القصاص جاءت لتدارك الثأر، وشفاء الصدر عند إنقضاء الحياة، والميت لايحتاج إلى هذا فينتقل إلى ورثته . (١)

العوارض الأهلية المكتسبة

وهي ما كان للإنسان فيها كسب واختيار وهي نوعان :

الأول : ما يكون من فعل الإنسان وكسبه ، كالجهل ، والسكر، والخطاء.

الثاني : ما يكون من غيره ، وهو الإكراه .

١- د.وهبه الزحيلي أصول الفقه الإسلامي ١/١٧٦،ط دار الفكر دمشق د.عبد الكريم زيدان الوجيز في أصول الفقه ص١١٠ .

النوع الأول : الجهل :

الجهل في اللغة : نقيض العلم .

وفي اصطلاح الأصوليين:اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع.(١)

الجهل لا ينافي الأهلية ، وإنما قد يكون عذراً في بعض الأحوال وذلك إما أن يكون المكلف في دار الإسلام، أو في غير دار الإسلام أي في دار الحرب . والقاعدة أن الجهل لايُعد غدر في دار الإسلام ، لأن العلم فيها مفروض على من فيها ، فلا يعذر المسلم بجهله الأحكام العامة التي لارخصة لأحد في جهلها مثل الأحكام الثابتة بالكتاب والسنة المتواترة أو المشهورة أو التي انعقد عليها الاجماع : كوجوب الصلاة ، والصيام وكتحريم الخمر ، والزنا وقتل النفس ، ويدخل في هذا الذمي فلا يعذر بالجهل بما يطبق عليه من أحكام الاسلام مثل القصاص، وحد الزنا والسرقة ، لأنه مقيم في دار الاسلام، والعلم في دار الاسلام مفروض للجميع .

ويلحق بهذا : أي في عدم اعتبار الجهل عذراً ـــ جهل من خالف باجتهاده صريح الكتاب أو السنة المشهورة ، فمثال من خالف باجتهاده صريح الكتاب من اجتهد وقال بحل الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمداً، وكان هذا الاجتهاد قياساً على متروك التسمية سهواً ، فإنه مخالف لقوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) ومثال من خالف باجتهاده السنة المشهورة : القول بتحليل المطلقة ثلاثاً لزوجها الأول بمجرد العقد على الثاني بدون وطء ، وهذا الاجتهاد مخالف للسنة المشهورة ولإجماع الفقهاء لأن المطلقة ثلاثاً لا تحل لمطلقها إلا اذا نكحت زوجاً آخر ودخل بها ثم فارقها بطلاق أو غيره ، ثم انقضت عدتها فتحل عند ذلك لزوجها الأول بعقد

١-محمد حسن الزيات المعجم الوسيط ١/ ١٤٤، مجمع اللغة العربية ،ط دار احياء التراث بيروت ، الجرجاني التعريفات ص٨٠ ، سعدي ابو جيب القاموس الفقهي ص٧٢ .

جديد . فشرط التحليل هو وطء الزوج الثاني ، أي دخوله بها وهذا ما قضت به السنة المشهورة.

فمن قال بجواز التحليل بدون وطء جاهلاً بأن الوطء يشترط لتحليل الزوجة لزوجها الأول فلا يُعتبر هذا الجهل عُذراً لمخالفة السنة المشهورة ولإجماع الفقهاء

وهناك جهل يصلح عذراً أو شبهة كالجهل في موضع الاجتهاد الصحيح، أو في غير موضع الاجتهاد لكن في موضع الشبهة، مثل من صلي الظهر على غير وضوء ثم صلى العصر به وهو يظن أن الظهر أجزأه ، فالعصر فاسد كالظهر لأنه جهل على خلاف الاجماع .

كذلك يُعذر بالجهل إذا عفي احد ولي المقتول عن القصاص من القاتل ، ثم اقتص الولي الآخر من القاتل على ظن أن القصاص لكل واحد منهما على الكمال ، فإن هذا الجهل يُعذر به فلا قصاص عليه لأنه موضع اجتهاد.

كذلك يعذر بالجهل في موضع الاجتهاد كمثل من عقد على امرأة عقد نكاح من غير شهود ، ودخل بها جاهلاً أن عقد النكاح يشترط فيه حضور الشهود المنصوص علية في قوله ــ صلى الله علية وسلم ــ (لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل) واكتفي بإعلان النكاح فقط مستنداً إلى اجتهاده هذا بقول الرسول صلي الله علية وسلم (أعلنوا هذا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدفوف) (١) فإذا دخل الزوج بالمرأة و لم يعلم بالدليل الذى يشترط فيه الشهود مع الولي اعُتبر عدم علمه جهل بذلك ، وهذا الجهل يعتبر عذراً ، كذلك يعتبر الجهل عذراً مقبولاً من نكح امرأة

١- الحديث اخرجه الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في اعلان النكاح٣/٣٩٨، وقال حديث غريب حسن ، وراجع في هذا الباب شرح السنة للبغوي ٩/٤٧ .

جاهلاً أنها محرمة عليه بسبب الرضاعة ، أو من شرب عصير العنب جاهلاً تخمره ، فإن الجريمة تنتفي عنهما ولا عقاب على الفاعل .

كذلك يعتبر الجهل عذراً جهل الوكيل بالوكالة ، أو بالعزل عنها ، فإذا تصرف الشخص قبل بلوغه خبر استناد الوكالة إليه فإن تصرفه لم ينفذ على الموكل ، كذلك لو تصرف الشخص قبل العلم بالعزل عن الوكالة فإن تصرفه ينفذ على الموكل فالجهل في الحالتين عذر مقبول .

وكذلك يعتبر الجهل عذراً جهل الشفيع إذا لم يعلم ببيع دار له فيها شفعة، فإن هذا الجهل يكون عذراً ويثبت له حق الشفعة متى علم بالبيع(١) .

السُكْر

السُكر : غيبوبة العقل واختلاطه من الشراب المسكر ، فيفقد التمييز بين الأشياء[٢].

السُكر سبب في تعطيل العقل فيمنعه من التمييز ، فلا يدرى السكران بعد إفاقته ما الذي صدر منه حال سكره . وعلى هذا ينبغى أن تنعدم أهلية المكلف السكران للأداء، ويسقط عنه التكليف، إلا أن العلماء لم يقولوا بهذا في جميع حالات السكر، وإنما قصروه على حالة سكره إذا كان بطريق مباح ، أما إذا كان سكره بطريق محظور فقد جعلوه مكلفاً، ومؤاخذاً بما يصدر عنه . واليك تفصيل ذلك.

١-عبد العزيز البخاري كشف الأسرار ٣٣٠/٤، ٣٤٢ .

٢- الفيومي المصباح المنير ص١٠٧ ، احمد الزيات وزملاؤه المعجم الوسيط ٤٤١/١، محمد رواس قلعهجي معجم لغة الفقهاء ص٢٤٧، الجرجاني التعريفات ص١٢٠، سعدي ابو جيب، القاموس الفقهي ص١٧٦ .

الحالة الأولى: السكر بطريق مباح :

وهذا يكون إذا شرب المسكر اضطراراً ، أو إكراهاً ، أو غير عالم بكونه مسكراً ، أو شرب دواءً فأسكره ، وحكم السكران في هذه الحالة حكم المغمي عليه ، فلا يكون مُكلفاً بأداء شئ من حقوق الله في حال سكره ، وعليه القضاء بعد إفاقته ، وأي تصرفات قوليه صدرت منه فلا يترتب عليها أي اثر .

أما التصرفات الفعلية فيترتب عليها آثارها ، فإن كانت حقوقا مالية خاصة بالعباد فيؤاخذ بضمان المتلفات سواءً كانت نفوساً أو أموالاً ، لأن النفوس والأموال معصومة فلا تسقط بأي عذر كان .

أما ماصدر منه من أفعال أو جرائم وكانت عقوبتها بدنية فلا يؤاخذ بشيء من ذلك لأن توقيع العقوبة على الإنسان تأتي لكونه عاقلاً مميزاً ، والسكران فاقد معدوم التمييز.

الحالة الثانية : السُكر بطريق محظور .

وهو ما يكون طريقه محرماً، كالسكر الحاصل من شرب الخمر أو أي مسكر محرم على وجه الاختيار.

وهذا النوع حكمه أن السكران تلزمه الأحكام الشرعية كلها وجميع التكاليف ، كما يأثم بتأخير الواجبات الدينية لأنها واجبة عليه في أوقاتها ، وتصح عبارته في الطلاق والبيع والشراء وسائر التصرفات ، لأنه مكلف وعقله قائم إلا أنه أحدث مانعاً من استعمال عقله بنفسه مما تسبب في فوات فهم الخطاب بسبب معصية فيبقى التكليف رغم ذهاب العقل لأن السكر جريمة ، فلا يصح أن يستفيد صاحب الجريمة من جريمته، وإذا ارتكب السكران جريمة من الجرائم الموجبة للعقاب البدني وهو في حال سكره فلا تسقط عنه العقوبة ، فإذا قتل وهو سكران وكانت عقوبته القصاص ، أُقتص منه إذا

أفاق، كذلك إذا زنى أقيم عليه حد الزنى إذا صحا من سكره. وعلى ما تقدم فإن السكر المحرم لا يكون مسقطاً للتكليف ولا مضيعاً للحقوق ولا مخففاً لمقدار العقوبة التي يستحقها أثناء صحوه .

وهناك بعض الفقهاء يقولون بعدم نفاذ تصرفات السكران مطلقاً وبعضهم يستثني الإقرار والعقود فلا تنفذ تصرفاته فيها ، وحجتهم في ذلك: أن صحة العقود والتصرفات تتوقف على استقامة القصد ، وصحة الإرادة. والسكران لا يتحقق معه شيء من ذلك . ويبدو – والله اعلم – أن السكران المتعدي بسكره مؤاخذ باقواله وأفعاله، فتقع منه جميع تصرفاته وعقوده ، ويقع طلاقه وعتقه .فهو مكلف بجميع الأحكام الشرعية لأنه مرتكب معصية وارتكاب المعصية لا يصلح سبباً للتخفيف وهذا ما عليه الجمهور . (١)

الخطأ:

الخطاء في اللغة : ضد الصواب

وفي الاصطلاح : هو قول أو فعل يصدر عن الإنسان ، وليس له فيه قصد، مثل أن يرمي شخصٌ صيداً فيصيب إنساناً فكان قصده رمي الصيد ، فوقع خطاء على الإنسان بغير قصد (٢)

١- سعد الدين التفتازاني، شرح التلويح على التوضيح ١٨٥/٢-١٨٦، ابن قدامة، المغني ٣٧٩/٧، الخبازي ، المغني في اصول الفقه ص٣٨٩ ،عبد العزيز البخاري، كشف الأسرار ٣٥١/٤ .

٢- الجرجاني، التعريفات ص٩٩، احمد حسن الزيات، المعجم الوسيط ٢٤٢/١، سعدي ابو جيب، القاموس الفقهي ص ١١٧، محمد رواس قلعهجي، معجم لغة الفقهاء ص١٩٧، ابو زهرة محمد، اصول الفقه ص ٢٨٠، ط دار الفكر العربي مصر ، د.وهبه الزحيلي، أصول الفقه١٨٤/١ ، ط دار الفكر دمشق .

فالخطاء يعتبر عذراً من الأعذار ، وهو من عوارض الأهلية ، فإن كان الخطأ في حق الله فيعتبر عذراً ويرفع عنه الإثم الأخروي ، فإذا أخطأ المجتهد في اجتهاده بعد استفراغ الجهد وبذل الطاقة، في تحري الصواب فلا إثم عليه بل يستحق أجراً واحدا. وقد يكون الخطأ ناشئاً عن الجهل ، مثل من يأكل بعد الفجر في رمضان ظاناً أن الفجر لم يطلع ، وعقد الصيام على ذلك ، باعتبار أن الخطأ عذر لا يبطل الفعل.

أما بالنسبة للمعاملات بين العباد فإنه لا يعذر المخطئ إلا فيما يتعلق بالعقوبات البدنية ، أما عقوده فتعتبر صحيحة عند الأحناف ، وعند بعض الفقهاء لا تكون صحيحة إذا صدرت بطريق الخطأ . وأما الجرائم فإن ما يقع من المخطئ فإنه مسئول مالياً ، ولا يعاقب بدنياً ، فإذا قتل خطأ وجبت الدية، ووجبت الكفارة ولا قصاص في ذلك لقوله ــ تعالى﴿ ومن قتل مؤمناً خطأً فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله﴾.

وكذلك إذا أخطأ وقطع طرفاً من أطراف شخص فليس عليه قطع ، بل عليه دية هذا الطرف ، وعلى هذا فأي جريمة حصلت بطريق الخطأ ففيها عقوبة مالية ، وبعض من العقوبات البدنية .

تقسيم الخطأ :

الخطأ ينقسم عند الأصوليين إلى أقسام .

الأول : الخطأ في الأفعال أو الأقوال ، وذلك بأن يكون خطأً في ذات الفعل كمن يقصد بفعله صيد حيوان ، فيخطئ ذلك الصيد ويصيب إنساناً فيقتله ، أو يجرحه ، أو يقطع طرفاً من أطرافه ، ومن ذلك من يتلفظ بلسانه فينطق بلفظ الطلاق ، يسبق اللفظ دون قصد .

الثاني : الخطأ في القصد وذلك بأن يقصد إلى هدف يحسبه صيداً ، فيتبين أنه إنسان، فهذا خطأ في القصد لا في الفعل لأن الفعل اتجه إلى مقصده ، ولكن الخطأ كان في أصل القصد .

وحكم هذا النوع كالذي قبله لا يُسقط التبعات المالية ، ولكن يُسقط العقوبات البدنية .

الثالث : خطأ في التقدير ومن ذلك أخطاء الأطباء في تشخيص الداء أو وصف الدواء . وذلك على صور منها .

١- أن يتعرف الطبيب على الداء ثم يصف الدواء فيتضح بعد ذلك أن الداء لم يكن الذي شخصه ، وأن وصفه للدواء كان في غير موضعه، فلو مات المريض نتيجة ذلك الخطأ وقد بذل الطبيب كل ما يستطيع من جهد فإنه لا مسئولية عليه ولاضمان نتيجة للخطأ الحاصل ، ولو ضمن الطبيب في مثل ذلك لأحجم الأطباء عن مهنة التطبيب التي هي من فروض الكفاية وضاعت مصلحة الناس العامة .

٢- أن يقرر طبيب ماهر قطع طرف من اطراف البدن لعلة وجدت فيه ثم تبين له بعد ذلك بأنه كان بالإمكان علاجه بدون القطع ففي هذه الحالة لاضمان عليه لأنه لم يحصل اعتداء ، و لم يحصل تقصير في بذل الجهد، بل حصل خطاء في التقدير .

أما اذا كان الخطاء صادراً عمن ادعي مهنة الطب و لم يعرف الطب . وحصل من تطبيبه خطأ نتج عن ذلك جريمة أو جناية فإنه مسؤول، وضامن عن الخطأ الذي حصل من جراء تعاطيه مهنة الطب لقوله –صلى الله عليه وسلم (من تطبب و لم يعلم منه طب فهو ضامن) (١)

٢٣- الحديث اخرجه ابو داود : سليمان ابن الأشعث السجستاني ،(ت ٢٧٥هـ) في سننه كتاب الديات باب فيمن تطبب بغير علم وهو حديث حسن .

٣- أما إذا كان الطبيب ماهراً ولكنه لم يبذل الجهد ، وحصل أن مات المريض نتيجة التقصير وعدم التثبت فليس عليه القَوَد بل عليه دية مخففة تتحملها العاقلة في ثلاث سنين تخفيفاً على المخطئ بسبب ما أشتمل عليه الفعل من التقصير (١)

النوع الثاني : من عوارض الأهلية المكتسبة - الإكراه .

وهو ما يكون من غير المكلف لا من فعل الإنسان بنفسه .

الإكراه : لغةً : الإلزام .

اصطلاحاً : هو إجبار أحد على أن يعمل عملاً ، أو يقول قولاً بغير حق من دون رضاه بالإخافة ، بحيث لو خلى ونفسه لم يفعله ولم يباشره . (٢)

شروط تحقق الإكراه :

١) أن يكون المكرِه بكسر الراء متمكناً من تنفيذ ما هدد به ، فإن لم يكن متمكناً من إيقاع ما هدد به كان تهديده لغواً لا عبرة به .

٢) أن يكون المكرَه بفتح الراء خائفاً من هذا التهديد بأن يقع في نفسه أن المهدد له سيُوقع ما هدده به يقيناً ، أو على غلبة الظن عاجلاً .

٣) أن يكون التهديد يتضمن ضرراً : كإتلاف النفس أو عضو منها، أو بما دون ذلك كالحبس والضرب وما أشبه ذلك .

٤) أن يكون المهدَد به عاجلاً : فلو كان آجلاً في المستقبل لم يتحقق الإكراه ، لأن بالتأجيل يتمكن المستكره من الاحتماء بالسلطة ، وهذا الشرط عند

١- عبد العلي محمد نظام الدين الأنصاري ت ١٣٢٤هـ شرح مسلم الثبوت ١٦٥/١ ، عبد العزيز البخاري كشف الاسرار ٣٨٢/٤ ، التفتازاني شرح التلويح على التوضيح ١٩٥/٢ ،الحسين ابن مسعود الفراء البغوي ،ت ٥١٦هـ شرح السنة ٣٤١/١٠، ط المكتب الإسلامي دمشق ، الخبازي المغني في اصول الفقه ص٣٩٧ .

٢ -الجرجاني التعريفات ص٣٣، عبد العزيز البخاري كشف الأسرار ٣٨٢/٤، محمد رواس قلعهجي معجم لغة الفقهاء ص٨٥ ، سعدي ابو جيب القاموس الفقهي ص ٣١٧ .

الحنفية والشافعية وبعض الحنابلة ، بخلاف المالكية فلا يشترط أن يكون معجلاً .

٥) أن يكون الإكراه بغير حق : أي لا يكون مشروعاً ، لكن لو كان الإكراه مشروعاً : كبيع مال المدين جبراً عنه لوفاء ديونه ، أو كان لمصلحة عامة كتوسيع طريق أو أي مصلحة عامة يحتاجها الناس حاجةً ضرورية فهذا إكراه بحق .(١)

أنواع الإكراه :

قسم الحنفية الإكراه إلى قسمين : إكراه ملجئ أو كامل أو تام . وإكراه غير ملجئ أو ناقص (٢) وغير الحنفية قسموه إلى ثلاثة أقسام بإضافة قسم ثالث على ما ذكره الحنفية .

١- الإكراه الملجئ : وهو الذي لا يبقي للمستكره معه قدرة ولا اختيار، فهذا النوع معدم للرضا مفسد للاختيار ، ويكون ذلك بالتهديد المؤدي إلى إتلاف النفس أو العضو : إما بالقتل أو بالقطع لعضو من الأعضاء، أو الضرب الشديد المتوالي .

ومفسد للاختيار لأن المستكره ليس له إلا اختيار واحد وهو فعل ما اكره عليه لعدم قدرته على دفع ما هُدد به فمباشرته لفعل ما اكره عليه جاء مصاحباً لفساد

---

١ - عبد العزيز البخاري كشف الاسرار ٣٨٣/٤، ط دار الكتاب العربي بيروت ، سليمان الطوفي (ت ٧١٦هـ) ، تحقيق عبدالله التركي ،ط مؤسسة الرسالة بيروت ، شرح مختصر الروضة ١٩٤/١، د. وهبه الزحيلي الفقه الإسلامي وأدلته ٢١٤/٤، ٥/ ٣٨٨، د. عبدالكريم زيدان الوجيز في أصول الفقه ١٣٥ .

٢ - هذا التقسيم عند الحنفية وعند غيرهم أن الإكراه ما به يتحقق الإكراه كالقتل والضرب والسجن ونحو ذلك سواء كان قليلاً أو كثيراً . د.عبدالكريم زيدان الوجيز في أصول الفقة ص١١٢، د. صالح بن عبدالله بن حميد رفع الحرج في الشريعة الاسلامية ص٢٤٣، ط جامعة ام القرى مكة .

الاختيار وانعدامه ، فأصبح المكره يُتصرف به كالآلة، فإذا صدر منه فعل فإنه يكون لاإرادياً لأنه يعدم الرضاء والقدرة والاختبار

٢- الإكراه غير الملجئ : وهو مالا يكون التهديد فيه مؤدياً إلى إتلاف النفس أو عضو من الأعضاء ، كالتهديد بالحبس مدة طويلة ، أو بضرب يفهم منه أنه لا يؤدي إلى إتلاف النفس أو عضو من أعضائه وهذا النوع معدم للرضا غير مفسد للاختيار لأن المكرَه بفتح الراء ليس مضطراً إلى مباشرة ما أُكره عليه لاستطاعته الصبر على ما هدد به.(١)

٣- إكراه بالتهديد بأذى يترل بأحد أصول المكرَه أو فروعه، أو زوجته أو أحد أقاربه، كالتهديد بحبس احد ابويه أو زوجته بما دون إتلاف النفس ، أو إتلاف عضو من الأعضاء.

هل الإكراه ينافي الأهلية ؟

الإكراه بأنواعه لا ينافي الأهلية بنوعيها ، ولا يسقط الخطاب عن المكرَه – بفتح الراء –. أما وجه عدم منافاته للأهلية ، فلأنها ثابتة بالذمة والعقل والبلوغ ،والإكراه لا يخل بشيء منها . وأما أنه لا يسقط به الخطاب عن المكرَه – بفتح الراء – فلأن ما أكره عليه قد يكون إتيانه حراماً عليه ، حتى إذا فعله أثم : كالقتل والزنى ، وقد يكون فرضاً عليه حتى إذا لم يفعله يأثم كالإكراه بالقتل على شرب الخمر فإنه حينئذ يفترض عليه الشرب وإذا صبر و لم يفعله كان مأجوراً : كالنطق بكلمة الكفر، وإتلاف مال

١- عبد العزيز البخاري كشف الأسرار ٣٨٤/٤، الخبازي المغني في أصول الفقه ص٣٩٨، زين الدين إبراهيم الحنفي الشهير بابن نجيم ،(ت ٩٧٠هـ) ،ط مصطفى الحلبي مصر فتح الغفار ٣/ ١١٩، أبو زهرة أصول الفقه ص٢٨٣

الغير ، وكل ما تقدم من الحرمة والفرض ، والرخصة علامة لثبوت الخطاب في حق المكرَه كونه مخاطباً ، بمثل هذه الأشياء لأنها لا تثبت بدون خطاب التكليف (١)

أثر الإكراه في تصرفات المكره ، القولية والفعلية .

لم يختلف العلماء في أن الإكراه المعدم للإرادة لا يترتب عليه حكم و لا يترتب عليه إثم على المستكره ، لأنه في مثل هذه الحالة لا يتعلق به تكليف فهو كالآلة المحضة في يد من اكرهه، فتقع المسؤولية كاملة على المكره [بكسر الراء] أما ماعدا ذلك من التصرفات القولية فقد اختلف العلماء في ذلك : فالجمهور من الشافعية والحنابلة وغيرهم ذهبوا إلى بطلان تصرفات المستكره القولية سواء كان مما يحتمل الفسخ أم لا.

واستدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ (٢) .

وهذا نص صريح في أن المكره مرخص له أن ينطق بكلمة الكفر ، و لم يكن بذلك كافراً . فلو اكره على بيع أو شراء أو طلاق أو غير ذلك فيعتبر قوله باطلاً لم يؤاخذ به و لم يترتب عليه حكم . لأن كلمة الكفر إذا نطق بها تعتبر أعظم من أحكام البيع والشراء والنكاح وأمثالها فالله قد سمح بالتلفظ بكلمة الكفر عند وجود الإكراه والكفر

---

١ -الأنصاري عبد العلي شرح مسلم الثبوت ١٦٦/١، عبد العزيز البخاري كشف الأسرار ٣٨٤/٤، إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله ابن يوسف الطائي الجويني ،ت ٤٧٨هـ ،تحقيق عبد العظيم الديب ،ط قطر البرهان في اصول الفقه ١٠٦/١، فخر الدين محمد بن عمر ابن الحسين الرازي ت٦٠٦هـ المحصول ١ق٢/ ٤٥٠ تحقيق طه العلواني ط جامعة الإمام الرياض ،علي بن عباس البعلي المعروف بابن اللحام ،ت ٨٠٣هـ القواعد والفوائد الأصولية ص٣٩،ط دار الكتب العلمية ، صفي الدين الهندي نهاية الوصول ١١٣٤/٣، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) المستصفى مع مسلم الثبوت ٩٠/١ ، محمد بن احمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار ت ٩٧٢هـ شرح الكوكب المنير ٥٠٨/١،ط مكة جامعة ام القرى ، تحقيق د. محمد الزحيلي ،د. نزيه حماد .

٢ - سورة النحل آية ١٠٦ .

أصل في إخراج الإنسان من دائرة الإسلام ومع هذا فلا يؤاخذ به ومن باب أولى لا يؤاخذ بفروع الشريعة والرسول ﷺ يقول (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) (١) .

وذهبت الحنفية إلى التفريق بين التصرفات التي تقبل الفسخ والتصرفات التي لا تقبل، فالتصرفات التي تقبل الفسخ مثل البيع والهبة والإجازة فلا تعتبر عند الإكراه شيئا فلو اكره على بيع أو إجارة أو هبة فيكون هذا التصرف فاسداً ، وسبب الفساد عدم تحقق الرضا الذي هو شرط لصحة التصرفات ، وعليه فإن للمستكره حق الخيار بعد زوال الإكراه في إمضاء التصرف وفسخه . أما التصرفات التي لا تقبل الفسخ مثل الطلاق و النكاح والظهار ، فهذه لا تؤثر فيها الإكراه فتكون صحيحة ونافذة مع الإكراه ، فيقع طلاق المكره ، وينعقد نكاحه و ظِهاره وما أشبه ذلك ودليلهم في ذلك قوله ﷺ (ثلاث جِدُّهُنَّ جِدٌ وهزلُهُنَّ جِدٌ النكاح والطلاق والرجعة)(٢) ، فهذه الأشياء يستوي فيها الجِد والهزل لعدم القصد الصحيح فيها ولعدم اشتراط الرضا في هذا النوع من العقود .

ويلحق بهذا ما إذا كان الإكراه على قول هو إقرار . فإن هذا الإقرار باطل لايؤاخذ به المقر ولا يترتب عليه أي اثر ،فإذا كان الإقرار قد جُعِلَ حجة حالة الاختيار ترجيحاً

---

١ -أخرجه ابن ماجة في سننه ٦٥٩/١ في كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي حديث رقم ٢٠٤٣ ، قال المناوي عند شرحه لهذا الحديث رمز المصنف (السيوطي) لصحته وهو غير صحيح فقد تعقبه الهيثمي وقال بأن فيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف . المناوي : محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ)فيض القدير ٣٥/٤، ط دار المعرفة بيروت ، راجع أمير باد شاه : محمد أمين بن محمد البخاري (ت٩٨٧هـ) تيسير التحرير ٣٠٨/٢ ، ط مصطفى الحلبي ١٣٥٠هـ مصر ، عبد العزيز البخاري ، كشف الأسرار ٣٨٤/٤ ، ط دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٤هـ ١٩٩٤م .

٢ - أخرجه الترمذي في كتاب الطلاق باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق ٤٩٠/٣ ،حديث رقم ١١٨٤ قال الترمذي (هذا حيث حسن غريب والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبيﷺ وغيرهم .

لجانب الصدق على جانب الكذب فيكون عند الإكراه يترجح جانب الكذب على جانب الصدق لقرينة الإكراه الدالة على أن المُقِر يريد دفع الضرر عن نفسه .

الإكراه على الأفعال

الإكراه على الأفعال : كالإكراه على قتل من لا يحل قتله، و الإكراه على شرب الخمر ، أو إتلاف مال الغير ، وما أشبه ذلك ، فالحكم يختلف باختلاف نوع الإكراه والفعل المكره عليه. فإن كان الإكراه غير ملجئ فلا يحل الإقدام على الفعل ، وإذا أقدم على الفعل فإنه بناءً على هذا النوع من الإكراه تكون التبعة عليه لا على من أكرهه . وإذا كان الإكراه ملجئاً فالأفعال بالنسبة إليه ثلاثة أنواع :

١- نوع يجب على المكره الإقدام على الفعل الذي أُكره عليه ، فإذا امتنع عنه وصبر حتى قُتل ، أو ضاع عضو من أعضائه كان آثما ، كالإكراه على شرب الخمر أو أكل لحم الميتة أو الخنزير ، فهذه الأشياء قد أباحها الشارع في حالة الضرورة كما قال تعالي (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) (١) ولاشك أن الإكراه في مثل هذه قد رفع الله الإثم فيها فيباح الفعل عند تحققها . فتصبح ضرورة ، لأن النفس قد تتعرض للإتلاف، أو عضو من أعضائها إذا امتنع عن تناول ذلك ، فيكون من قبيل إلقاء النفس في الهلاك ، وهذا محرم بنص القرآن (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (٢)

٢- نوع يباح للمكره الإقدام على الفعل الذي أُكره عليه لكن لو صبر على التهديد ولم يفعل ما أُكره عليه كان ثوابه على الله وذلك مثل إكراهه على الكفر بالله

٣٣- سورة البقرة آية ١٧٢،

٣٤- سورة البقرة آية ١٩٥،

تعالى ، أو الاستخفاف بالدين ، فإذا أُكره الإنسان على الإتيان بشيء من ذلك جاز له الفعل متى كان قلبه مطمئناً بالإيمان ، لقوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئنٌ بالإيمان) (١) وما ورد في السنة النبوية من الثناء على من استسلم للقتل، وبذل نفسه في سبيل الله، وأمتنع عن قول كلمة الكفر بلسانه مع إطمئنان قلبه بالأيمان . ويلحق بهذا من أُكره على إفساد صومه أو صلاته ، أو إتلاف مال الغير، فإن فعل شيئاً من ذلك فلا إثم عليه وإن صبر وتحمل الأذى و لم يفعل ما أُكره عليه فهو مثاب لأنه تمسك بالعزيمة وترك الرخصة .

٣- نوع لا يحل للمكره الإقدام عليه بحال من الأحوال. كقتل النفس المعصومة أو قطع عضو من الأعضاء ، أو ضرب إنسان حتى الموت، فهذه الأفعال لا يجوز للمكرَه (بفتح الراء) الإقدام عليها حتى لو أدى ذلك إلى ضياع نفسه ، فإذا فعل شيئاً من ذلك كان آثماً باتفاق الفقهاء ، لأن النفس معصومة ، فلا يجوز للإنسان أن يدفع الضرر عن نفسه بإيقاعه عن غيره . وإتفق الفقهاء على أن المكرَه (بفتح الراء) آثم بإقدامه على الفعل في هذا النوع . كما أنهم متفقون على إستحقاق العقوبة الدنيوية على الفعل ذاته . واختلفوا في نوع العقوبة ، وفي من يستحقها أهو المكرَه أي الفاعل أو الحامل له على الفعل .

فاللائمة الثلاثة مالك واحمد والشافعي في رواية راجحة عنه يرون أن العقوبة الواجبة على من أُكره على قتل إنسان: هي القصاص ويجعلونها تقع على الفاعل أي المباشر للقتل لأن المباشر للقتل وإن كان مكرَها إلا أنه قد قتل المجني عليه ظلماً وعدواناً، فلا يُعفي من القصاص .

١- سورة النحل آية ١٠٦،

ويرى الإمام أبو حنيفة ومعه محمد بن الحسن والشافعي في رواية أن القصاص على الحامل له على الفعل مع تعزير الفاعل المباشر بما يراه الإمام زاجراً ورادعاً له عن هـذا العمل وعللوا رأيهم هذا : بأن الفاعل المباشر مدفوع الى ارتكاب الفعل من الحامل له عليه فأقدم على ذلك حرصاً على حياته فهو يعتبر مثل الآلة في يد الحامل له على الفعل في ارتكاب جريمته ، والعقوبة لا تكون للآلة وإنما تكون لمن يستخدمها . واستحقاق الفاعل المباشر التعزير جاء لإقدامه على عمل محرم وهو جعل النفس المعصومة وقاية لنفسه وحفاظاً لها من القتل. ويرى الإمام أبو يوسف صاحب أبي حنيفة: أن الواجب هو الدية وتكون واجبة على المكرِه (بكسر الراء) لا على الفاعل المباشر ، كما لا يجب القصاص على واحد منهما لأن القصاص لا يثبت إلا بالجناية الكاملة وهنا لم توجد الجناية الكاملة لأي منهما. بل توجد شبهة تُسقط القصاص عنهما .

وقد الحق العلماء بهذا النوع الزنى فقالوا : إن حرمة الزنى لا ترتفع بأي حال فهي محرمة في حال الإكراه كما هي محرمة في حال الاختيار ، ويلحق الفاعل الإثم من غير خلاف ، إلا أن الحد يسقط عنه على الراجح ، لأن الإكراه يعتبر شبهة ، والحدود تدرأ بالشبهات . مع أن المرأة إذا أُكرهت على الزنى إكراهاً ملجئاً فإن الإثم لا يلحقها[٣٤] . هذا ما تيسر الكتابة فيه بعونه وتوفيقه تعالى وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً...

٣٤- ابن قدامة المغني شرح مختصر الخرقي ٣٨٢/٧، وهبة الزحيلي الفقه الإسلامي و أدلته ٢١٥،٢٢٨/٤، الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد ص١٦٠،

نتائج البحث

١- ينقسم الجنون إلى أصلي وطارئ، فالأصلي أن يبلغ الإنسان سن الرشد مجنوناً والطارئ :أن يبلغ عاقلا ثم يطرأ عليه الجنون أو قد يصيب الإنسان في بعض الأوقات دون بعض .

٢- الجنون سبب من أسباب الحجر على الإنسان دون التوقف على حكم من القضاء.

٣- العته اختلال في العقل من غير جنون ويختلف عن الجنون أن تصرف المعتوه يصحبه هدوء بخلاف الجنون ولذا أُلحق المعتوه في أحكامه بالصبي المميِّز، وأُلحق المجنون بالصبي غير المميز.

٤- تصح في المعتوه التصرفات النافعة نفعاً محضاً ، وغير النافعة تبقى متوقفة على إجازة الولي .

٥-لا تجب على المعتوه عقوبات ، ولا يصح منه طلاق حتى ولو أذن وليه وهو في نفس الوقت مطالب بما يترتب عليه من إتلاف في حق الغير .

٦- الإغماء مرض يمنع فهم الخطاب ، ناقضاً للصلاة وليست له أهلية أداء لأنه فاقد العقل والتمييز فلا يعتد بشيء من أقواله مطلقاً ولا يؤاخذ مؤاخذة مالية كما لا تجب على المغمى عليه أي عباده أثناء إغمائه وعليه القضاء بعد الأفاقة.

٧- النوم ينافي أهلية الأداء ، لأن النائم لا عقل له أثناء نومه فلا يعتد بشيء من أقواله مطلقاً ولا يؤاخذ بأفعاله بد نباً ولكن يؤاخذ مالياً .

٨- المرض علة مسقطة لبعض التكاليف ، فالمريض كامل الأهلية بنوعيها الوجوب والأداء سواء كان في حق الله أو في حقوق العباد . إلا أنه يؤثر في بعض الأحكام الصادرة عن المريض ولا سيما مرض الموت فإذا كان على المريض دين يستغرق

ماله كله أو أكثر من الثلث أو أراد أن يتصدق بماله كله أو يهب أكثر من الثلث فيحجر عليه . ولا تنفذ تبرعاته إلا في حدود الثلث صيانةً لحق الورثة .

٩- الحيض والنفاس يشتركان في إسقاط الصوم والصلاة إلا أنه يلزم القضاء في الصوم دون الصلاة لأن العبادة تحتاج إلى طهارة ولا تتحقق الطهارة مع وجود الحيض والنفاس .

١٠- تسقط أهلية الأداء عن الميت لعجزه عجزاً تاماً فالتكاليف التي كانت لازمة تسقط بالموت لأنه لابد للأداء من القدرة ولا قدرة مع الموت إلا أن الزكاة إذا مات و لم يخرجها فإنها تبقى في ذمته تخرج من التركة ولا تسقط بموته وهذا عند الجمهور ماعدا بعض الحنفية فإنها تسقط عندهم بالموت وخاصة إذا لم يوص بها . وأما حقوق العباد كالدين والأمانات والمغصوب فتبقى في ذمته ولا تنتهي بموته لأن الحق يتعلق بذاتها ويجب على الورثة أداؤها، أما ما كان حقاً مشروعاً مثل تكاليف دفنه وتجهيزه فتؤدى من التركة أيضا قبل قسمتها .

١١- العوارض الأهلية المكتسبة منها ما يرجع إلى اختيار الإنسان ومنها ما ليس له اختيار فالجهل من فعل الإنسان وكسبه وهولا ينافي الأهلية و إنما قد يكون عذراً في بعض الأحوال. فالأحكام العامة لا رخصة لأحد في جهلها كوجوب الصلاة والصيام وتحريم الخمر والزنى وقتل النفس ،أو من اجتهد وخالف باجتهاده صريح الكتاب والسنة المشهورة فلا عذر له .لكن يعتبر الجهل عذرا، أما إذا عفى احد أولياء المقتول عن القصاص من القاتل ثم اقتص الولي الآخر ظانا أن القصاص حق لكل واحد من أوليا الدم استقلالاً فإنه يعذر بهذا الجهل لا قصاص عليه .

كذلك يعذر بالجهل من عقد على امرأة من غير شهود ودخل بها جاهلاً أن عقد النكاح يشترط فيه حضور الشهود واكتفى بإعلان النكاح فقط فيعتبر عدم عمله

جهلا . كذلك يعتبر الجهل عذراً جهل الشفيع إذا لم يعلم ببيع دار له فيها شفعة، فإن هذا الجهل يعتبر عذراً ويثبت له حق الشفعة .

١٢- السُكر له حالات منها ما كان بطريق مباح وهو ما إذا شرب المسكر مضطراً أو مكرهاً أو غير عالم بكونه مسكراً ، فالتصرفات القولية لا يترتب عليها أي أثر ، بخلاف تصرفاته الفعلية فعليه ضمان ما أتلف. ومنها ما كان بطريق محظور وهذا النوع تلازمه جميع التكاليف الشرعية ويأثم بتأخيرها ، وتصح عبارته في الطلاق والبيع وسائر التصرفات لأنه جنى على نفسه بما تسبب

في زوال عقله و إذا ارتكب جناية فلا تسقط عنه العقوبة حتى لو كانت قصاصاً. لأنه مرتكب معصية وارتكاب المعصية لا يصلح سبباً لتخفيف العقوبة وهذا ما عليه الجمهور .

١٣- الخطأ يعتبر عذراً من الأعذار فإن كان في حق الله فيرفع عنه الإثم الأخروي فمثلاً إذا أخطأ المجتهد بعد استفراغ الجهد وبذل الطاقة فلا إثم عليه بل يستحق أجراً واحداً .

اما المعاملات بين العباد فإنه يُعذر من العقوبات البدنية ، وتبقى عليه العقوبات المالية فإذا قتل أو قطع طرفاً من أطراف شخص بطريق الخطأ وجبت عليه الدية ولا قصاص عليه ، ويلحق بهذا الطبيب الماهر الذي يحصل منه تقصير بعدم التثبت وعدم بذل الجهد ، فعليه التعويض بسبب ما أشتمل عليه الفعل من التقصير .

١٤- الإكراه مسقط للتكاليف بشرط تحقق شروط الإكراه، والعلماء لم يختلفوا في أن الإكراه المعدم للإرادة لا يترتب عليه حكم ولا إثم لأن المكرَه في مثل هذه الحالة كالآلة في يد من اكرهه ، أما ماعدا ذلك فقد اختلف فيها العلماء فمنهم من فرق بين التصرفات القولية التي تحتمل الفسخ وبين التي لا تحتمل الفسخ .

أما الإكراه على الأفعال فالحكم يختلف باختلاف نوع الإكراه والفعل المكره عليه ،فإن كان الإكراه غير ملجئ فلا يحل الإقدام على الفعل و إذا أقدم فتكون التبعة عليه لا على من اكرهه . وإذا كان الإكراه ملجئاً فالأفعال بالنسبة اليه ثلاثة أنواع:

١- نوع يجب على المكره الإقدام على الفعل الذي أُكره عليه كأكل لحم الميتة ، فهذا قد أباحه الشارع في حالة الضرورة ، ورفع الله الإثم عنها لأن النفس قد تتعرض للإتلاف.

٢- نوع يباح للمكرَه فعله لكن لو صبر على التهديد و لم يفعل ما أُكره عليه كان ثوابه على الله ،مثل إكراهه على الكفر أو الاستخفاف بالدين .

٣- نوع لا يحل للمكره فعله بحال من الأحوال كقتل النفس المعصومة أو قطع عضو من الأعضاء أو ضرب إنسان حتى الموت ، فهذا لا يجوز الإقدام عليه حتى لو أدى ذلك إلى ضياع نفسه .

مراجع البحث

١- أبو جيب - سعدي: القاموس الفقهي طبع دار الفكر دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .

٢- أبو زهرة : محمد أصول الفقه طبع دار الفكر العربي مصر .

٣- ابن عبد الشكور: محب الله البهاري(ت ١١٩هـ)مسلم الثبوت في شرح فواتح الرحموت لأبي العباس عبد العلي محمد نظام الدين الأنصاري (ت ١٣٢٤هـ) مطبوع مع المستصفى طبعة مصورة دار المعرفة بيروت .

٤- ابن قدامة : عبد الله بن احمد (ت ٦٢٠هـ)المغني على مختصر الخرقي طبع مكتبة القاهرة مصر عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م تحقيق طه محمد الزيني .

٥- ابن ملك : عبد اللطيف بن عبد العزيز (ت ٧١٠هـ) شرح المنار وحواشيه طبع المطبعة العثمانية ١٣١٥هـ .

٦- ابن نجيم : زين الدين ابراهيم الحنفي (ت ٩٧٠هـ) فتح الغفار شرح أصول المنار طبع مصطفى الحلبي مصر ، الطبعة الأولى عام ١٣٥٥ هـ ١٩٣٩

٧- الإزميري : محمد- حاشية مرآة الأصول - طبع دار الطباعة العامرة اسطنبول ١٣٠٩هـ .

٨- الأهدل : حسن محمد مقبولي : أصول الفقه إلا سلا مي مكتبة الجيل صنعاء ٩-

البخاري: عبد العزيز(ت ٧٣٠ هـ)كشف الأسرار:طبع دار الكتاب العربي بيروت

١٠- البغوي :_ الحسين بن مسعود الفرّاء(ت٥١٦ هـ) شرح السنة ،تحقيق شعيب الارناؤوط وزهير الشاويش الطبعة الاولى ١٣٩٠هـ ١٩٧١م ط المكتب الاسلامي دمشق.

١١- التفتازاني سعد الدين مسعود (٧٩٢ هـ) شرح التلويح على التوضيح ط: محمد علي صبيح القاهرة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧م .

١٢- الجرجاني : الشريف على بن محمد (ت ٨١٦هـ) كتاب التعريفات طبع دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

١٣- الجويني : (إمام الحرمين) عبد الملك بن عبد الله (ت٤٧٨هـ) البرهان في أصول الفقه تحقيق د. عبد العظيم الديب طبع حكومة قطر ١٣٩٩ الطبعة الأولى .

١٤- الخبازي : عمر بن محمد بن عمر (ت ٦٩١هـ) المغني في أصول الفقه تحقيق د.محمد مظهر بقا الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ طبع جامعة أم القرى مكة المكرمة .

١٥- الزحيلي :- وهبة . أصول الفقه الإسلامي طبع دار الفكر دمشق عام ١٤١٦هـ، ١٩٩٦م .

١٦- الزحيلي :- وهبة الفقه الإسلامي وأدلته طبع دار الفكر دمشق الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ،١٩٨٩م .

١٧- الزحيلي وهبة . الفقه الإسلامي في أسلوبه الجديد طبع دار الكتاب ١٩٦٧م.

١٨- الزركشي :-بدر الدين محمد بن بهادر الشافعي (ت٧٩٤هـ) البحر المحيط طبع وزارة الأوقاف الكويتية، تحقيق عبد القادر العاني ،الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ١٩٩٢م .

١٩- الزيات :- أحمد حسن المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية القاهرة أشراف عبدالسلام هارون طبع دار إحياء التراث العربي بيروت .

٢٠- الطوفي: سليمان بن عبد القوي (ت ٧١٦هـ) شرح مختصر الروضة تحقيق

د. عبدالله محسن التركي الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٨م ، طبع مؤسسة الرسالة بيروت.

٢١- الغزالي أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) المستصفى طبع مصوّر دار المعرفة بيروت .

٢٢- الفتّوحي : محمد بن أحمد بن النجار (ت ٩٧٢ هـ) شرح الكوكب المنير تحقيق د.محمد الزحيلي و د. نزيه حماد طبع جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م .

٢٣- الفيومي:- أحمد بن محمد (ت ٧٧٠هـ) المصباح المنير طبع مكتبة لبنان بيروت ١٩٨٧م.

٢٤- القرطبي :- محمد بن أحمد بن رشد (ت ٥٩٥هـ) بداية المجتهد ونهاية المقتصد طبع شركة مصطفى الحلبي القاهرة الطبعة الثالثة ١٣٧٩هـ ، ١٩٦٠م .

٢٥- بدران :- أبو العينين أصول الفقه الإسلامي دار النهضة العربية القاهرة .

٢٦- بن حميد صالح بن عبدالله رفع الجرح في الشريعة الإسلامية طبع جامعة أم القرى مكة عام ١٤٠٣هـ الطبعة الأولى

٢٧- زيدان : عبد الكريم الوجيز في أصول الفقه طبع مؤسسة قرطبة ١٩٨٧م.

٢٨- شعبان : زكي الدين أصول الفقه طبع دار النهضة القاهرة .

٢٩- صفي الدين الهندي الأرموي : محمد بن عبد الرحيم (ت ٧١٥هـ) نهاية الوصول في دراية علم الأصول تحقيق د. صالح اليوسف ، و د.سعد بن سالم الشويح طبع المكتبة التجارية مكة المكرمة .

٣٠- قلعهجي : محمد رواس ، معجم لغة الفقهاء الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م دار النفائس بيروت لبنان .

تنظيم الأسرة في ميزان السياسة الشرعية

د. غالب عبد الكافي القرشي

تنظيم الأسرة في ميزان السياسة الشرعية

د . غالب عبد الكافي القرشي
كلية الشريعة – جامعة صنعاء

مدخل لا بد منه

كل مسلم مؤمن بكمال الإسلام عقيدة وشريعة ، يعتقد بأن كل ما تحتاجه البشرية لتنظيم حياتها يكفله الإسلام بتشريعه العام ذلك أن من أهم خصائصه الكمال والشمول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)[١] .

عكس الأديان السماوية الأخرى ، فإنه لم يأت دين منها كاملاً شاملاً، ولذلك جاء يهودي إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فقال : إن لديكم معشر المسلمين آية في كتابكم لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا يوم نزولها عيدا، قال عمر : وما هي ؟ قال : قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم . . .)[٢] .

) سورة المائدة آية ٣ .

) حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي انظر في تفسير ابن كثير للقرآن العظيم صـ ٢:٢٠

فتشريع الإسلام كامل (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (ما فرطنا في هذا الكتاب من شيء) .

وما جاء في القرآن والسنة الصحيحة من أمثال هذه النصوص التي تدل على كمال التشريع لم يأت بتفصيل كل ما سيواجهه المسلمون إلى يوم القيامة، لكن تلك النصوص يختلف بعضها عن بعض فما جاء في العقائد والعبادات والأحوال الشخصية ومسائل الحلال والحرام والأخلاق مفصلاً ، فهو ثابت لا يتغير ، ولا يقبل الاجتهاد إلا في التطبيق (كيفية التطبيق) وما جاء في السياسة والإدارة والقضاء والاجتماع والعلاقات مع الآخرين فإنه يحمل المرونة والقابلية للاجتهاد والسعة لاتساع كل جديد ، ومن هنا يظهر التكامل ، ومعالم الكمال للتشريع الإسلامي .

ولذلك فإن المسلمين والدولة الإسلامية بالذات لم يجدوا ضيقاً ولا حرجاً في استيعاب أي جديد، ولم يجدوا صعوبة في حل كل مشكل أو مشكلة تواجههم، ولم يجدوا أية صعوبة في استيعاب الحضارات السابقة المهيمنة قبل الإسلام، خاصة الحضارة الفارسية والرومية ، بل استفادوا منها بعد أن هذبوها، ثم طوروها، فأوجدوا حضارتين فريدة هي الحضارة الإسلامية ، كانت موضع إعجاب وتقدير وتقليد من الآخرين قروناً كثيرة، ولا تزال كذلك عند المنصفين ، وستعود لو عاد إلى نهجها المسلمون .

لكن الانبهار لدى المسلمين بالحضارة الغربية - مؤخراً - أنسى الكثيرين حضارتنا ، وخصائصنا وامكان التعامل مع الحضارة الحديثة .

اهتمام الإسلام بالإنسان

وإذا كانت كل الحضارات قديمها وحديثها قد قامت على الإنسان نفسه ، فإنه لم يجد فيها كلها إنصافاً ، بل ولا اعترافا نجد الإنسان الباني للحضارات يهدم بنيانه بها !

جاءت الحضارة الغربية الحديثة بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان قبل أربع وخمسين سنة ، في السنة التي جاءت بالدولة الصهيونية لسحق شعب بكامله ، والانقضاض أحياناً على شعوب أخرى، ولم يعترف إلى الآن — تطبيقا — للإنسان العربي ولا المسلم بصفة عامة بأنه إنسان ! والأمثلة واضحة أوضح من الشمس في رابعة النهار. فإن المسلم لا يعامل كغيره كما نرى ولم يكن ذلك الإعلان الغربي الذي أصبح عالمياً كقرارات الأمم المتحدة اليوم لم يكن منصفاً حتى نظرياً ، فالمرأة هضمت والطفل غاب ، حتى جاءت ملاحق بعد عشرات السنين من الإعلان تتلافى النقص نظرياً(١) .

أما الإسلام فإنه قد جاء لتكريم الإنسان وبيان حقوقه على نفسه وعلى الآخرين من بني جنسه .

خلقه على أحسن هيئة (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)(٢)، وجعله خليفة في الأرض (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)(١) لعمارة

) فالطفل مثلاً لم يأت الملحق الذي يعطيه حقوقاً مادية إلا عام ٦٩ م أي بعد إحدى وعشرين سنة من الإعلان العالمي الأصل جاء ملحق حقوق الطفل ولم يوفه حقه الذي ضمنه له التشريع الإسلامي .

) سورة التين آية ٤ .

الأرض وبناء الحضارات ، وكرم هذا الإنسان بصفة عامة (ولقد كرمنا بني آدم)(٢)، وكرمه جنيناً ، وطفلاً وشاباً ورجلاً وامرأة ومسلماً وغير مسلم في هذه الدنيا، وجعله متميزاً عن كل المخلوقات الدنيوية .

ولم يكن كل ذلك وغيره أمراً نظرياً اختيارياً ، وإنما جعلها حقوقاً تؤدي وجوباً ، يعاقب منتهكها ، والمفرط فيها بعقوبات شرعية مقدرة وغير مقدرة في الدنيا ، غير العقوبات الأخروية . وجاء الإسلام بتشريع كامل محكم لتنظيم شؤون الإنسان كلها ، وجعل له حقوقاً من قبل أن يولد ، فاختيار الزوج والزوجة ينبني على اعتبارات يكون لها تأثيرها في مستقبل البنين من الزوجين ، وجعل حقوقاً لكل إنسان تتفق ومكانته، وما تحتاجه مرحلته الحياتية ، فلكل مرحلة من مراحل حياة الإنسان في الإسلام حقوق معينه : فالوالدان لهما حقوق تتناسب ومكانتهما ، والزوج والزوجة كذلك ، والبنون تبدأ حقوقهم من قبل الولادة : اختيار الأبوين ، وأثناء الحمل وعند الولادة ... وهكذا(٣) .

وموضوعنا هذا (تنظيم الأسرة في ميزان السياسة الشرعية) أخذ حيزاً كبيراً من التشريع الخالد، ويهدف هذا البحث إلقاء الضوء علي أهم القضايا الخاصة بتنظيم الأسرة ومعالجته واقعيا حسن ميزان السياسة الشرعية بالاستناد إلى الضوابط

) سورة البقرة آية ٣٠

) سورة الاسراء آية ٧٠ .

) تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي للدكتور عبد الرحيم عمران ص ١٩ – ٥١ ط ١٩٩٤ م .

الشرعية المعتمدة علي كتاب الله وسنة رسوله الكريم – ﷺ – وعلمـــاء الإســـلام الذين تلقى المسلمون اجتهاداتهم بالقبول .

نظرة الشريعة لتنظيم الأسرة

تؤخذ أحكام الشريعة الإسلامية على الأشياء والتصرفات في حياة الناس مـــن النصوص الشرعية المباشرة في الموضوع ، أو من مقاصد الشرع ، إذ مقصد الشريعة الأساس تحقيق المصالح للعباد في الدنيا والمعاد ، ودفع المفاسد (الأضرار والمخـــاطر) عنهم ، كما تراعى في هذا الجانب (جانب التشـــريع) قواعـــد أصـــول الفقـــه والاستنباط، والقواعد الفقهية التي أرساها العلماء ، واتفقوا على الكـــثير منـــها ، وهذه الأخيرة ليست مصادر أساسية للتشريع ، ولكنها أصول وقواعد يتوصل بهـــا إلى الحكم الموافق لنصوص الشريعة أو مقاصدها أو روحها ومسألة تنظيم الأســـرة ليست جديدة، وإنما هي قديمة، وجدت مع بداية إحساس الإنسان بالحاجة إلى الحد من النسل، أو التخفيف من أعباء تزايد عدد أفراد الأسرة ، وهناك فروق بين نظرة المسلم وغيره، وقد بدأ هذا الإحساس والشعور بالحاجة إلى التنظيم قبل الإســـلام عند جميع الأمم ، منها أمة العرب .

وقد كان لكل قوم طريقهم في تنظيم الأسرة بحسب المعتقـــدات والرؤيـــة ، والحالة المعيشية ونظرتهم إلى البنين والبنات، والحـــرص علـــى كثـــرة العـــدد أو تقليله(١)، لكن تلك المعتقدات والرؤى والتصرفات لم تكن ربانية في بعضها بـــل كانت في كثير من نظارتها للإنسان غير إنسانية وغير أخلاقية.

) فتاوى الشيخ القرضاوي في قناة الجزيرة الفضائية ١٩ / ٤ / ١٩٩٨ م ص ٢ وينظر كتاب الأمام الندوي رحمة الله ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين .

حتى جاء الإسلام الكامل بتشريعه فكان دينا وسطاً في نظرته إلى الأسرة تكويناً وتنظيماً ورعاية، يحسب حساب الكثرة ويحبذها لكنه يحرص على النوعيه ، فإذا كانت كثرة جاهلة ضعيفة هزيلة متفرقة فإنها لا قيمة لها في الإسلام بل هي غثائية ضررها أكبر من نفعها (قالو أو من قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل)(١) .

ولم يفرق الإسلام بين الذكور والإناث من حيث المكانة والمنزلة والمنفعة (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً)(٢) سورة النساء (١١).

جاء الإسلام وبعض الأمم تتخلص من الأولاد الذين لا تظهر عليهم أثار القوة وتبقي على من تراه عكس ذلك(٣) .

وكانت بعض الأمم تتخلص من الإناث لو كثرن بقتلهن كما كان يفعل العرب خوفاً من العار ، أو قلة الرزق، وسجل ذلك القرآن الكريم (وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت)(٤) سورة التكوير.

وجاء الإسلام والمرأة تعد عند بعض الأمم شيطانة ، ومصدر الشرور ، وينظر إليها عند أمم أخرى كما ينظر لسائر الممتلكات من أثاث وغيره ، وكان وتعدد

) حديث شريف وصف فيه الرسول الكريم حال الأمة الإسلامية اليوم ! قاله قبل أكثر من أربعة عشر قرناً وكانه ينظر إلى عدد المسلمين اليوم يقارب المليار وثلاثمائة مليون ، يمثلون الغثائية المشار إليها في حديث من لا ينطق عن الهوى .

( ) سورة النساء اية (١١)

) فتاوى الشيخ القرضاوي مرجع سابق ص ٢ أشار إلى ان ذلك كان في إسبرطه القديمة.

( ) سورة التكوير

الزوجات غير منحصر بعدد محدد فقد يتبع الرجل عشرون امرأة ، فكرم الإسلام المرأة وجعلها مساوية للرجل في كل شيء إلا أشياء قليلة أفتضتها الفروق بينهما من حيث التكوين وطبيعة كل منهما ، وحدد الأكثر في تعدد الزوجات بأربع وجعل لذلك ضوابط و لم يطلق الإباحة وحرم كل ما يسيء إلى العرض ويخلط النسل ، وحث على الزواج وحرم التبتل (الانقطاع عن الزواج) .

أراد الإسلام للإنسان أن يكون إنساناً سوياً جسماً وروحاً وعقلاً وعلماً ومعيشة (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف)([1]).

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)([2])، (قل لا يستوي الخبيث والطيب ، ولو أعجبك كثرة الخبيث . .)(٣) (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)(٤) .

إذاً فنظرة الشريعة الشاملة للإنسان وحفظ نسله وكثرة أو قلة عدده تختلف عن نظرة غيرها من الأديان والأنظمة، ونظرة الشريعة الإسلامية للكم والكيف إذا أمكن جمعهما فهو المطلوب لعمارة الأرض وبناء الحضارة وعبادة الله بعلم ومعرفة وقوة إيمان (المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف وفي كل خير)[5] .

( ) حديث شريف

( ) سورة الزمر الآية (٢٩)

) المائدة آية (١٠٠ .

) البقرة ٢٤٩ .

( ) حديث شريف

فرق بين تحديد النسل وتنظيمه

حينما نتحدث عن تنظيم الأسرة سنجد أن هناك أموراً كثيرة تتصل بهذا الموضوع منها تحديد النسل ، وتحديد النسل غير جائز في شريعة الإسلام ، وبهذا يفتي العلماء المعتبرون علماً وورعاً قديماً وحديثاً (١) .

ولم يستثنوا غير الضرورات القاهرة ، يشترك في تقدير الضرورة الطبيب الحاذق الأمين، والفقيه المتمرس الأمين .

والفرق بين التحديد والتنظيم باختصار هو أن التحديد يعني القطع للنسل بعد إنجاب طفل أو أكثر لغير ضرورة قاهرة ، بينما التنظيم لا يعني أكثر من المباعدة بين المواليد (٢) بطرق مناسبة

أساس جواز تنظيم الأسرة :

أ – القرآن الكريم

ب – السنة النبوية.

ج – الضرورة .

د – المصلحة المعتبرة شرعاً .

هـ – فتاوى العلماء المعتبرين .

أ – القرآن :

) تنظيم الأسرة للدكتور عبد الرحيم عمران في مواطن كثيرة من الكتاب ، والدكتور القرضاوي مرجع سابق ص ٥ .

)المباعدة بين المواليد ليست محددة بمدة معينة بدقة وبأدلة حاسمة وإنما هي محكومة بالضرورة والحاجة .

يقول الله سبحانه وتعالى:(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)(١)

جاءت هذه الآية ضمن سلسلة من الآيات قبلها وبعدها تتحدث عن شئون الأسرة ، فاختص جزء من هذه الآية (٢٣٣) ببيان الطريقة المثلى لمدة الرضاع وهي سنتان كاملتان، وهذه المدة – بنص الآية – أفضل مدة رضاع (لمن أراد أن يتم الرضاعة) والواقع يؤكد ذلك ، وهذه المدة السنتان للرضاع مضافة إلى مدة الحمل تسعة أشهر ، تقارب ثلاث سنين وهي مدة كافية لتنظيم النسل بالمباعدة بين الولادات.

فإذا تزوجت المرأة وهي في سن الثامنة عشره وهو أفضل سن لزواج الأنثى(٢) وأخذت فترة بعد الزواج بدون حمل ثم حملت وهي في سن التاسعة عشرة مثلاً فأتت بأول مولود لها وهي في العشرين ثم استمرت كذلك – ثلاث سنين – بعد كل ولادة حتى سن الخامسة والثلاثين – السن الذي يستحسن توقف إنجاب المرأة عنده(٣) دون منع قهري أو بقانون فإن الأسرة ستكون من خمسة أبناء لو لم يتوف أحدهم ، وهذا العدد معقول لا يؤثر على الأم ولا يصل بالأب إلى

) سورة البقرة آية ٢٣٣ .

) يقرر ذلك الأطباء والاجتماعيون والواقع يشهد لذلك خاصة مع ضعف الرعاية .

) لأن المرأة في الغالب إذا حملت بعد هذا السن تتعرض لمتاعب شتى وقد تسقط جنينها في الغالب .

مرحلة التخوف إن كان من المتخوفين لأي مبرر من المبررات(١) ، مع أن هنـــاك آياتٍ أُخرى بعضها فهم منها بعض العلماء بأنها تعطي حق اختيار تحديد المدة بين مولود ومولود للزوج من تلك الآيات قوله تعالى (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم)(٢).

فهم منها ابن عباس وهو حبر هذه الأمة أن المرأة موضع حرث للنسل وقـــد قال الله تعالى: (فأتوا حرثكم أنى شئتم) أي متى شئتم فازرعوا قاربتم أو باعـــدتم وأخذ بهذا الفهم آخرون)(٣) وقد فهمت إحدى النساء هذا الفهم ، واحتجـــت به على زوجها المغاضب لأنها لم تلد له بنين إنما كانت تلد البنات ، فقالت معاتبـــة له متسائلة :

ما لأبي حمزة لا يأتينا غضبان ألا نلد البنينا

تا الله ما ذلك في أيدينا ونحن كالأرض لزارعينا

ننبت ما قد بذروه فينا .

فإذا أخذنا بفهم ابن عباس ل (أنى) بأنها تعني (متى) وليس (كيف) فإن لنا أن نقول إن تحديد المدة للزوج كانت سنتين أو ثلاثاً أو سبعاً ومن الآيـــات المتصـــلة

) يورد العلماء المبررات التي تدفع بالزوجين إلى تنظيم النسل حتى وصلت عند جميعهم إلى أحد عشر مبرراً . أنظر تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي مرجع سابق ص ٢٠٤-٢٤١ وذكر أسماء الفقهاء الذين اجتهدوا في وضع تلك المبررات .

) سورة البقرة آية ٢٢٣ .

)انظر تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي مرجع سابق ص ١٢١ وذكر إلى جانب ابن عباس آخرون .

بالموضوع قوله تعالى (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير)(١) نجد هذه الآية تؤكد المدة التي حددتها آية سورة البقرة (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) وتبين ما تعانية الأم أثناء الحمل من مشقة وضعف تتابع ، والوصية من الله لهذا الإنسان المولود – أياً كان – أن يحمد الله ويشكره ، ولوالديه اللذين كانا سبباً في وجوده ، وضحيا في حمله وتربيته .

والمدة المحددة في هذه الآية تقارب ثلاث سنين .

وآية أخرى هي قوله تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حسنا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال : رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين)(٢) .

وهذه الآية شبيهة بالآية التي سبقتها من حيث الوصية للإنسان بوالديه ووصف المعاناة التي تواجهها الأم في حملها له ووضعها وتربيته ، واختلفت في شيئين الأول أنها حددت مدة الحمل والرضاع إلى الفصال- الفطام بثلاثين شهراً

)سورة لقمان آية ١٤ .

) سورة الأحقاف آية ١٥ .

أي عامين ونصف ، فإذا أخذنا منها مدة الحمل تسعة أشهر فإنه لا يبقى لمدة الرضاع غير سنة وتسعة أشهر . والخلاف ليس كبيراً بين الآيات الثلاث السابقة التي تعرضت لمدة الحمل والرضاع لكننا نغلب آيتي البقرة ولقمان ونأخذ من آية الأحقاف تحديد أقل مدة للحمل وهي ستة أشهر ، فإذا جاءت المرأة بابنها من زوجها بعد ستة أشهر من زواجهما ينسب إليه دون شك كما فهم ذلك كثير من العلماء ابتداء من صحابة رسول الله – ﷺ – فقد فهم ذلك على بن أبي طالب – رضي الله عنه – ووافقه عثمان بن عفان وجماعة من الصحابة الكرام – رضي الله عنهم جميعاً(١) .

الشيء الثاني الذي أبرزته آية الأحقاف هو طبيعة الإنسان السوي الفطري فإنه إذا بلغ سن النضج الكامل قوة وعقلاً يكون أقرب إلى خالقه حيث يعلم فضله عليه وأن مرجعه إليه، فيلهج بالدعاء الخالص ، ويتوب ويؤوب إلى الله ، ومن جملة الآيات السابقة كلها نأخذ حكم تنظيم الأسرة، وهو الجواز لصالح المولود والأبوين، فإذا ظهرت ضرورة في حالة من الحالات تقتضي المباعدة أكثر تقدر بقدرها ، وتأخذ حكمها وهذا ما تقتضيه السياسة الشرعية .

وفي أفهام العلماء الكبار من أئمة العلم ورؤوس المذاهب لهذه الآيات معالم للمجتهدين من بعدهم .

)تفسير ابن كثير لآية الأحقاف ج٤ : ٢٠٠ .

فقد وجدنا أفهاماً كثيرة لمسألة مدة الرضاع جاءت في أقوال العلماء عند بحثهم مسألة أخرى هي متى يحرم الرضاع فيصبح مثل النسب حيث يمنع زواج المتراضعين في تلك المدة ويحرم زواجهما من إخوانهم وأخواتهم من الرضاعة . فجمهور العلماء على أن المدة المؤثرة فيها الرضاع هي سنتان المحددة في الآيات ، وبعض العلماء يرى أن المدة سنتين وشهرين ، وبعضهم يرى سنتين وثلاثة أشهر ، وقال أبو حنيفة سنتين وستة أشهر ، وقال بعضهم مادام يرضع فالى ثلاث سنين(١) ومن أقوالهم هذه يمكن الاختيار – لضرورة – أبعد الأقوال ثلاث سنين إضافة إلى مدة الحمل فتكون مدة المباعدة بين كل وليدين أربع سنين إلا قليلاً . فإذا اختار أحد هذا القول أو جماعة فإننا سنجد من تطبيقه أن عدد الأبناء في هذه الحالة سيقل إلى أربعة في المتوسط ، وهو عدد معقول مقبول عند المتخوفين من ا لكثرة ، ومقبول في ميزان السياسة الشرعية التي تقوم على المصلحة المعتبرة .

ب – السنة النبوية :

وفي السنة النبوية الصحيحة أحاديث تتصل بموضوع تنظيم الأسرة ووسائل التنظيم أهم هذه الأحاديث وأشهرها أحاديث العزل ، والعزل هو النزع حين الاتصال بين الزوجين وقذف منيه خارج الرحم خوفاً من الحمل.

والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة بروايات مختلفة ، تحمل مدلولاتٍ مختلفةً كلها ترجع إلى موضوع تنظيم النسل ، فمنها ما يتصل بممارسة الصحابة رضوان الله عليهم للعزل ، أو رأيهم فيه ، ومنها ما يبين إقرار الرسول – ﷺ – للعزل ،

)المرجع السابق ج١ : ٣٨١ عند تفسير آية سورة البقرة : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) .

والتذكير بالقضاء والقدر ومنها ما فيه التصريح من الرسول عليه الصلاة السلام لفظياً بإباحة العزل ، ومنها ما يتعلق بالنساء وأهن موضوع حرث لأزواجهن والحارث يحرث متى شاء وكيف شاء ، ومنها : ما يبين ضرورة اتفاق الزوجين على العزل ، لأن الأمر يهمهما جميعاً سواء مسألة الحمل ، أو المتعه ، ومنها : ما يحتمل أكثر من معنى بشأن العزل ، ومنها ما يشير إلى أن العزل وأد (قتل) خفي ، و منها ما يبين إنكار الرسول – ﷺ – أن العزل وأد، إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار المتصلة بالموضوع منها :

حديث جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل قال : (كنا نعزل على عهد رسول الله – ﷺ – والقرآن ينزل) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد .

ونلاحظ أن الحديث لم يبين المدة التي يمكن أن يستمر العزل فيها .

عن جابر نفسه (كنا نعزل على عهد رسول الله – ﷺ – فبلغه ذلك فلم ينهنا) رواه مسلم .

وفي رواية أخرى عنه ، وفيه (ولو كان شيء ينهى عنه لنهانا القرآن) رواه مسلم أيضاً (١) وأحاديث أخرى تبين من كان يرى ذلك من الصحابة وكبار التابعين مثل ابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي أيوب الأنصاري ، وسيأتي بيان من كان يرى ذلك من الصحابة وكبار التابعين ومن تلك الروايات يتبين لنا أن الكثير من الصحابة كانوا يمارسون العزل منهم على وسعد بن أبي وقاص وأبو

)انظر تلك الأحاديث وغيرها في تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي مرجع سابق ص ١٤٦ – ١٤٨ .

أيوب الأنصاري وزيد ابن ثابت وجابر بن عبد الله وابن عباس والحسن بن علي وخباب من الأرت وأبو سعيد الخدري وابن مسعود رضي الله عنهم جميعاً(١) .

وبعد أن عرض ابن القيم القائلين بجواز العزل وأدلتهم وأقوال المانعين وأدلتهم خلص إلى الترجيح فقال : ولا ريب أن أحاديث جابر صريحة صحيحة في جواز العزل ، وقد قال الشافعي رحمه الله : ونحن نروي عن عدد من أصحاب النبي – ﷺ – أنهم رخصوا في ذلك ولم يروا به بأساً قال البيهقي : وهو مذهب مالك والشافعي وأهل الكوفة وجمهور أهل العلم (٢) أما من قال به من التابعين بل كبار التابعين فهم :

- ❋ طاووس بن كيسان اليمني تلميذ ابن عباس .
- ❋ عطاء بن أبي رباح من تلاميذ ابن عباس
- ❋ إبراهيم النخعي من تلاميذ عبد الله بن مسعود .
- ❋ علقمة من تلاميذ ابن مسعود
- ❋ الحجاج بن عمرو بن غزبه .
- ❋ سعيد بن جبير من أبرز تلاميذ ابن عباس .
- ❋ محمد بن سيرين
- ❋ إبراهيم التيمي
- ❋ عمرو بن مرة

)زاد المعاد في هدي خير العبار لابن القيم ج ٥ /: ١١١ ط دار الفكر لبنان ط ١٩٩٩ م .

)المرجع السابق ص ١١٣ وانظر السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ٢٣٠ – ٢٣١ .

* جابر بن زيد (١) .

ج - الضرورة

وبعد استعراضنا باختصار للأساسين الرئيسيين الكتاب والسنة ،وما جاء فيهما أو بعض ما جاء فيهما حول تنظيم الأسرة نقف هنا لننظر إلى أن هناك أمراً ثالثاً مؤثراً في بناء الأحكام، جاء به القرآن والسنة والإجماع والتطبيق العملي في تاريخ المسلمين الزاهر ، هذا الأمر هو (الضرورة) وهي من القواعد التي تقوم عليها السياسة الشرعية فهي من القواعد الفقهية المشهورة المعتبرة لدى العلماء :(لا ضرر ولا ضرار) وقاعدة : (الضرورات تبيح المحظورات) وقاعدة : (رفع الحرج) وقاعدة (المشقة تجلب التيسير) (٢) .

هذه القواعد كلها يلجأ إليها في أمور في الأصل محرمة فيها نصوص صحيحة صريحة فيلجأ الحاكم أو العالم عند الاقتضاء الملح إلى أحدى هذه القواعد وأشباهها لتحقيق مصلحة ملحة معتبرة شرعا ، ودفع مفسدة خطيرة لا تدفع إلا بتطبيق إحدى هذه القواعد أو أكثر منها والأمثلة كثيرة يرجع إليها من شاء إلى الكتب المذكورة في الهامش لهذه الصفحة .

لكن لابد من الإشارة إلى بعض النصوص التي ترجع إليها تلك القواعد وتطبيقاتها من هذه النصوص : قوله تعالى : (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف

)تنظيم الأسرة ،رجع سابق ص ١٤٩ .

)الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه القيم شرح لمئة قاعدة فقهية وقد أخذها كلها عن علماء سابقين مثل الإمام السيوطي في كتابه القيم الأشباه والنظائر ولا بن الهمام أيضاً بنفس الاسم والقواعد الفقهية لا بن رجب .

لأثم فإن الله غفور رحيم)(١) ، بعد أن ذكر مجموعة من المحرم أكلها في الآية نفسها.

وقال تعالى : (وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه . .)(٢).

ويقول تعالى : (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) (٣) .ويقول الله تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج)(٤) .

ويقول :(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) (٥) .

إلى غير ذلك من النصوص التي تبيح الخروج عنها عند الضرورة مع أنها تحمل أحكاماً قطعية سواء كانت أوامر أو نواهي .

أما قضيتنا التي بين أيدينا فإنها ليس فيها نصوص صريحة بالمنع أو الوجوب وما ورد فيها من نصوص مبيحة فإنها تجعل الأمر مباحاً وما جاء فيها من نصوص قد يفهم منها المنع فإنها لا تزيد عن كونها تدخلها في باب الكراهية كراهة تنزيه لكن قد سبق أن بينا موقف الصحابة والتابعين الذين أباحوا تنظيم النسل بالوسائل التي كانت معروفة ممكنه في زمنهم ورأينا ترجيح ابن القيم للجواز ، وهو من العلماء

)سورة المائدة آية ٣ والمخمصة هي ضرورة الجوع ، متجانف مقترف لغير ضرورة .

)سورة الأنعام آية ١١٩ .

)سورة البقرة آية ٢٨٦ .

)سورة الحج آية ٧٨ .

)سورة البقرة آية ١٨٥ .

المحققين المدققين الواقفين عند الحق دون هوى أو تعصب لمذهب معين ولو أنه حنبلي لكنه لا يجمد عند المذهب.

فإذا وجد الزوجان ضرورة ملجئة أو حرجاً يؤدي إلى العسر أو مشقة شديدة في كثرة الأبناء فإن ذلك كله مبيح له لأن يباعد بين المواليد ولو كانت المباعدة بعيدة بل لو وصل إلى أن يتوقف الحمل حتى تزول الضرورة أو يرتفع الحرج أو المشقة إن كانت حقيقة .

د – المصلحة :

المصلحة من الأمور المعتمدة شرعا سواء كانت مصلحة على مستوى الفرد أو الجماعة أو الدولة ..، والمصالح المرسلة (المطلقة) هي التي لم يرد دليل خاص باعتبارها أو إلغائها ، فإذا كانت المصلحة تقتضي تنظيم الأسرة وكانت المصلحة راجحة لأسباب ومبررات معقولة مقبولة فإن ذلك يجيز التنظيم بما يحقق المصلحة ، ولا يمكن تحديد أنواع أو دواعي المصلحة بل يرجع ذلك إلى تقدير الزوجين نفسيهما على أن لا يتخذا قرار تحديد النسل فإن ذلك لا يجوز شرعاً إلا للضرورة المحققة ولا تحدد الضرورة إلا عن طريق طبيب حاذق أمين، وفقيه متمرس أمين يفتي بناء على تقرير الطبيب إن كانت الضرورة صحية، والحالة مهددة بخطر على حياة الأم أو الجنين لو حملت به .

هل الكثرة مطلوبة لذاتها

الكثرة العددية للسكان في أي بلد ليست وحدها مقياساً لتقدم الشعوب أو تأخرها ، وليست مدعاة للقوة أو الضعف ، والمباهاة أو الخجل ، أو الغنى أو الفقر وإنما الذي يحدد قيمة الكثرة الكيف ، فإذا اجتمعت الكثرة والكيف فهذه الكثرة

النوعية لا شك أفضل من القلة مع الكيف المماثل وإذا كانت كثرة غثائية بلا كيف فإنها أقل شأناً من القلة ذات الكيف الحسن فالكثرة التي تستحق أن يباهى بها هي ما توفرت فيها الشروط الآتية :-

أن تكون ذات علم وتقنية شاملة لا في جانب واحد من جوانب مجالات الحياة فحسب.

١) أن تكون محكومة بدين وخلق وقانون لا تخرج عنه .

٢) أن تكون ذات منعة مرهوبة الجانب عند أعدائها .

٣) أن تكون منتجة أكثر مما تستهلك .

٤) أن تكون متكافلة متماسكة غير ممزقة .

٥) أن لا تكون كثرة ينتج عنها إرهاق الأمهات والأضرار البليغ بهن .

٦) أن لا تكون مشغولة ببعضها مهدرة لطاقاتها(١) .

فإذا فقدت هذه الشروط أو أكثرها من الكثرة فإنها لا قيمة لها والقلة الجيدة أفضل منها (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)(٢) وواقع الدول والشعوب يشهد بذلك سواء كانت تلك الشعوب إسلامية أم غير إسلامية فشعب قليل كاليهود له تأثير على مستوى العالم وشعب كبير كثير كالشعب العربي لا تأثير له بعد أن تمزق وتفرق وتخاذل واستبد به سفهاؤه في عصرنا .

) الدكتور عبد الرحيم عمران ، مرجع سابق بتصرف في بعض الشروط وزيادة شيء يسير .

( ) سورة آية ( )

مبررات تنظيم النسل

تحدث العلماء قديماً وحديثاً عن هذه المبررات والعلماء الذين تحدثوا عن هذه المبررات هم علماء كبار من كل مذهب، وكان القدماء منهم يتحدثون عن مبررات تتناسب مع عصرهم والمحدثون من العلماء لا حظوا مبررات جديدة تتناسب والعصر ولا تبعد كثيراً عما قيل في الماضي .

فإنه ما من شك أن تطور الحياة وتكاثر الناس وحدوث أمور لم تعرف من قبل تقتضي من العلماء اجتهادات تتناسب والجديد ، وتتناسب مع قدرة الشريعة على تلبية متطلبات الحياة في كل العصور وحل المشكلات الحديثة، وإلا لأظهرنا الإسلام بمظهر العجز ، ونفينا عنه المرونة والقدرة التي نشيد ونفاخر بها دائماً ،

بعض ما قاله العلماء القدماء من مبررات تنظيم النسل :

١ـ الإمام الغزالي (١) .

جاء عن الإمام الغزالي في كتابه القيم (إحياء علوم الدين) في موضوع تنظيم الأسرة كلام عجيب يستنار به ويهتدي بمعالمه

كلام قاله قبل ألف سنة في زمن كانت أساليب الحياة فيه مختلفة وحالة الناس غير حالتهم اليوم فقد قال رحمه الله: أن النيات الباعثة على العزل (تنظيم النسل) خمس :

الأولى : في السراري .

الثانية : استبقاء جمال المرأة وسمتها لدوام التمتع للطرفين واستبقاء حياتها خوفاً من خطر الطلق .

)هو حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد بن حامد الغزالي ت عام ٥٠٥ هـ.

الثالثة: الخوف من كثرة الحرج بسبب كثرة الأولاد والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب ودخول مداخل السوء .

الرابعة: الخوف من الأولاد الإناث لما يعتقد في تزويجهن من المعرة كما كان من عادة العرب قتلهم الإناث فهذه نية فاسدة أي أن مثل هـذا المبرر لا يقره الشرع.

الخامسة: أن تمتنع المرأة عن الحمل لتعززها ومبالغتها النظافة والحرز من الطلق والنفاس والرضاع ... وهذه أيضاً نية فاسدة (١) .

ونلاحظ أن الغزالي رحمه الله ساق هذه المبررات التي هي دوافع لا على أنها مبررات في مقياس الشرع لكنه أنكر اثنين من المبررات وسكت عن ثلاثة فالثلاثة عنده جائزة .

٢ ـ عبد الرحمن ابن الجوزي (٢)

: قال : ينبغي للمؤمن أن يتشاغل بمعاشة ويرفق من نفقته خصوصاً(٣) العائلة ، وما رأينا مثل هذا الزمان القبيح ، فما بقي من يوماً إليه بمعونة ولا استقراض منه فيحتاج الإنسان أن يدخل في مداخل لا تليق به، وأن يتعرض لما لا يصلح فينبغي تقليل العائلة(٤).

)الغزالي إحياء علوم الدين ج ٢ : ٥٣ – ٥٤ .

)ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ت ٥٩٧هـ ١٢٠١ م .

)كأن ابن الجوزي يعيش في زمننا اليوم !

)نقلاً عن الدكتور عبد الرحيم عمران ص ٢٤٢ .

رأينا مبررات ابن الجوزي لتقليل العيال تتمثل في :

١) ضعف التكافل في المجتمع بين أبنائه فالفقير ذو العيال لا يجد حتى من يقرضه قرضاً حسناً .

٢) خوف اللجوء إلى مداخل رزق غير لائقة .

٣) خوف الوقوع في تكسب لا يصلح إما لحرمته أو لعدم إمكانه

٣- ابن حجر العسقلاني(١) :

المبررات لتنظيم النسل عند ابن حجر تتمثل في الآتي :

- الخوف من الولد الرقيق (أبناء الجواري) وهذا لم يعد له وجود .
- الفرار من كثرة العيال والتضرر من صعوبة تحصيل رزقهم .
- خوف دخول الضرر على الرضيع .

وهو في هذا يبين الدوافع عند الناس لتنظيم النسل لكنه يرى أن المبرر الأقوى هو الثالث (٢) .

ونكتفي من آراء العلماء القدماء بهؤلاء الأعلام الثلاثة

بعض ما قاله العلماء المعاصرون من مبررات تنظيم النسل :

أما العلماء المعاصرون فإن من تكلم منهم في هذه القضية كثيرون وبعضهم ألف كتباً خاصة في الموضوع وبعضهم له فتاوي في ذلك ، وبعضهم جاء بالكلام ضمن كتاب عام في الفقه .

نأخذ بعضهم ، خاصة الذين لهم شهرة ومكانة علمية بين المسلمين : -

---

) ابن حجر هو أحمد بن علي بن حجر العسقلاني حافظ فقيه قاض ت ٨١٢هـ ١٤٤٩ م .

)فتح الباري لا بن حجر ج ٩ : ٢٤٧ .

١- الشيخ السيد سابق في كتابه الشهير (فقه السنة) قال:

- إذا كان الرجل معيلاً (أي كثير العيال) ولا يستطيع القيام بشئونهم.
- إذا كانت المرأة ضعيفة (أي: لا تتحمل تكرار الحمل)
- إذا كانت موصولة الحمل (أي لا تأخذ مدة الرضاع كاملة) .
- إذا كان الرجل فقيراً ، ثم قال : ففي مثل هذه الحالات يباح تحديد الحمل (تنظيم الفترات) بل إن بعض العلماء رأى أن التحديد في هذه الحالات لا يكون مباحاً فقط بل يكون مندوباً إليه . وألحق الإمام الغزالي بهذه الحالات حالة ما إذا خافت المرأة على جمالها ، فمن حق الزوجين في هذه الحالة أن يمنعا النسل ، بل ذهب كثير من أهل العلم إلى إباحته مطلقاً(١) أي دون الحاجة إلى سبب .

٢- الشيخ محمد متولي الشعراوي :

يرى الشيخ الشعراوي رحمة الله أن العزل – (تنظيم النسل) مباح إذا وجدت الأسباب ومن المبررات المقبولة عنده:

- صيانة صحة المرأة والمحافظة على جمالها لإعفاف زوجها .
- ضيق المسكن مع عدم القدرة على توسيعه .

٣- الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق رحمه الله :

يرى شلتوت أن أسباب تنظيم النسل ترجع إلى الآتي :

- إذا كانت المرأة سريعة الحمل ولا يوجد الفاصل المناسب بين كل حملين .
- إذا خيفا نقل مرض، حتى يذهب الخوف والمرض .

)فقه السنة ج ٧ : ١٣٢ – ١٣٥ .

- عند العجز عن القيام بمسؤليات العيال ، ولا يوجد من يمد يد العون ففي مثل هذه الحالات يمكن للأفراد (تنظيم نسلهم دون أن يتعدى مجالهم ، أي لا يكون التنظيم بقوانين وقرارات (١)

ومن وقوفنا مع ما قاله العلماء الأفاضل قديماً وحديثاً نجد أن تنظيم النسل لأسباب وجيهة مباح لكن دون اتخاذ قوانين بذلك ملزمة ولا مساواة بين أفراد الشعوب في ذلك فقد يكون التنظيم أحياناً ضرورياً وقد يكون تقليداً أولهثاً وراء دعايات زائفة فشعب صغير يقتل منه كل يوم غير شعب كبير تكتظ به رقعة أرضه فلا بد من التفريق .

وقفه مع المؤتمرات الدولية للسكان والتنمية

عقدت مؤتمرات دولية كبرى كثيرة منذ أن أسس صندوق الأمم المتحدة للسكان والتنمية .

عقدت تلك المؤتمرات تحت عناوين مختلفة تدور كلها حول السكان والتنمية، والمرأة والشباب ظاهرها الرحمة لكنها تكشفت عن أعراض سوء أشهر تلك المؤتمرات مؤتمر المكسيك عام ١٩٨٤م تحت عنوان (مؤتمر السكان) وكان قد سبقه مؤتمر عام ١٩٧٤م .

ثم تلاه مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة عام ١٩٩٤م .

)من فتوى شلتوت عام ١٩٥٩ م أنظر تنظيم الأسرة مرجع سابق ص ٢٣١ وهناك علماء آخرون أشهرهم الدكتور يوسف القرضاوي إذ قال : بجواز التنظيم شرط إتفاق الزوجين ، وذكر مبررات الإمام الغزالي ، القرضاوي مرجع سابق .

فتلاه مباشرة المؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين عام ١٩٩٥م حضره أربعون ألف امرأة !! ونلاحظ أنه بعد أن كانت تعقد المؤتمرات العالمية للسكان كل عشر سنين صارت مؤخرا تتوالى بمسميات مختلفة فلا تخلو سنة من مؤتمر أو لقاء دولي غير مئات المؤتمرات المحلية التي تسير وفق المتفق عليه دولياً في الجملة ، وما تتطلبه المجالس والهيئات المحلية المختصة بالسكان والتنمية كل تلك المؤتمرات الكبرى ينفق عليها ويمولها صندوق الأمم المتحدة للسكان والتنمية بسخاء !

ورغم ما يبذله الصندوق وما توصلت إليه كل المؤتمرات المشار إليها وغيرها وما تبذل من جهود محلية في كل دولة وما يوجد من تأثيرات إيجابية وأحياناً سلبية.

فإن هناك مخاوف كثيرة برزت مما لوحظ على بعض المؤتمرات وبرامجها ووثائقها التي طرحت مما جعل كثيراً من الدول خاصة الإسلامية والمسيحية ،وغيرها والهيئات الدولية والمحلية .. تتحفظ على ما يطرح في تلك المؤتمرات وما تخرج به وما تسفر عنه خاصة مؤتمر القاهرة أغسطس ٩٤ م ومؤتمر بكين أيلول٩٥م ومؤتمر استنبول تركيا للمستوطنات البشرية عام ٩٦م ومؤتمر براغ للشباب عام ٩٨م ومؤتمر لاهاي للشباب في هولندا عام ٩٩م ..

ففي مؤتمر القاهرة برزت في الوثيقة المقدمة إلى المؤتمر ملاحظات خطيرة تتصل بالدين والقيم مما حدا بكثير من الحضور والهيئات المعنية إلى الرد والمعارضة والتحفظ على كثير مما جاء في الوثيقة .

ولنسمع إلى رئيسة وزراء باكستان بنازير بوتو التي حضرت مؤتمر القاهرة إذ قالت أمام المؤتمر : (المؤسف أن وثيقة المؤتمر تحتوي نصوصاً خطيرة تضرب موقع القلب في كثير من القيم الحضارية في الشمال والجنوب في المسجد والكنيسة)(١) .

وقال غيرها أكثر من ذلك وأصدرت رابطة العالم الإسلامي كتيباً تضمن ملاحظات على مؤتمر القاهرة وكذلك الأزهر الشريف كان له موقف شريف حضر هذا المؤتمر القاضي أحمد محمد الأكوع وكيل وزارة الأوقاف والإرشاد آنذاك وكان له موقف يتفق مع موقف كثير من الدول الإسلامية ورجع وكتب تقريراً قدمه إلى الوزارة بعد عودته .

وهكذا مؤتمر بكين للمرأة الذي تلاه في العام الثاني مباشرة وكان عليه من الملاحظات الكثيرة التي تربط بين السكان والتنمية ووسائل تتنافى مع القيم فيما يتصل ببناء الأسرة والممارسات الجنسية لا تتسع هذه الورقة لكل ما قيل في تلك المؤتمرات .

لكننا في الجمهورية اليمنية لا نتخوف إذ أننا نلاحظ أن كل المؤتمرات المحلية إلى الآن تمضي وفق ما يناسب وضعنا وقيمنا ويبذل المجلس الوطني للسكان جهوداً بناءة مأمونة سيكون لها آثارها الإيجابية مستقبلاً بإذن الله متجنبين ما أثير في المؤتمرات العالمية مستفيدين من إمكانيات صندوق الأمم المتحدة للسكان والتنمية والمشكلة عندنا لم تظهر إلى الآن فلا انفجار سكاني مهول ولا ضاقت المعيشة

) مذكرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص ٣ ، أرسلت إلى الجهات المعنية في كل دولة إسلامية ، وغيرها تحذيراً من مخاطر تلك الوثائق التي تحمل في طياتها السم الزعاف والتي يخالف جوهرها شعارها .

بسبب الكثرة فهناك أسباب أخرى أهم تحتاج إلى وقفات ، أهمها نشر العدل والمساواة واستخراج الثروات وتوزيعها بعدالة .

النتائج والتوصيات

أ- النتائج : -

بعد هذه الجولة السريعة في ميدان تنظيم الأسرة وهو ميدان واسع – يحتاج إلى كتابة أوسع توصلت إلى النتائج التالية .

١) أبقى الشريعة الإسلامية (دائماً وأبداً قادرة على حل كل مشكلة طارئة لو أحسن أهلها فهمها طبقاً لقواعد السياسة الشرعية.

٢) مسألة السكان والتنمية قد أخذت حيزاً كبيراً من التشريع الإسلامي).

٣) قضية تنظيم الأسرة قد بدأت منذ صدر الإسلام منذ عهد الرسول الأكرم – ﷺ – .

٤) علماء الإسلام قد خاضوا في هذه القضية واختلفوا لكن أكثرهم يجيز التنظيم بشروط لابد منها وهو الذي رجحته .

٥) التنظيم غير التحديد فتحديد النسل لا يجوز إلا للضرورة وبتقرير الطبيب الحاذق الأمين وفتوى الفقيه الرشيد .

٦) ما يبذله ويخطط له صندوق الأمم المتحدة للسكان والتنمية عمل منظيم لكن خططه وبرامجه ووثائقه النمطية ليست كلها صالحة لكل قطر ولكل أسرة بل تظل لكل أمة خصائصها وقيمها

٧) نحن في اليمن أمة أصيلة بعروبتها وإسلامها وتقاليدها، نأخذ من كل شيء أحسنه ولا نفتن بكل جديد .

ب - التوصيات :-

١) التوقف عن الإكثار من الندوات السكانية إلا للضرورة .

٢) العودة إلى ما قد تم من قبل من دراسات وخطط وتقارير والاستفادة منها والحذر من الوارد في هذا الشأن

٣) تقويم المرحلة الماضية من العمل في هذا الميدان من قبل المعنيين .

٤) الأخذ في البال دائماً خصائص الشعب اليمني وتقاليده القائمة على الدين الإسلامي الحنيف.

٥) الالتفات إلى الأسباب الأخرى المعيقة للرخاء والتنمية فمنها ما هو أخطر وأضر من تزايد السكان خاصة العبث بالمال .

والله الموفق

مراجع البحث

١) القرآن الكريم

٢) تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ج١ : ٤ .

٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن عطيه ج٢ .

٤) تنظيم الأسرة في التراث الإسلامي د / عبد الرحيم عمران .

٥) فتاوى الشيخ القرضاوي عبر قناة الجزيرة الفضائية .

٦) ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين للإمام أبي الحسن الندوي .

٧) زاد المعاد في هدي خير العباد للإمام ابن القيم .

٨) السنن الكبرى للبيهقي ج ٧ .

٩) الدكتور عبد الكريم زيدان / شرح مائه قاعدة فقهية .

١٠) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي .

١١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني .

١٢) فقه السنة لسيد سابق .

١٣) مذكرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي بعد مؤتمر لا هاي ٩٩م.

١٤) تقرير القاضي أحمد الأكوع عن مؤتمر القاهرة .

١٥) الوثائق الأساسية للمجلس الوطني للسكان والأمانة العامة في الجمهورية اليمنية .

١٦) الإطار العام لرؤية اليمن الاستراتيجية المقدمة عام ٢٠٠٠م إلى ٢٠٢٥ م .

تعريفات بالدراسات القرآنية

(تفسير عكرمة جمعا ودراسة)

التحرير

تعريفات بالدراسات القرآنية
(تفسير عكرمة جمعا ودراسة)

التحريـــــر

قام بهذه الدراسة كل من :

- **الدكتور / عبد اللطيف هايل ثابت**
- **الدكتور / صالح يحيى صواب**
- **الدكتور / سليمان محمد الصغير.**

تناول الأول الموضوع من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الأنفال .

وتناول الثاني الموضوع من أول سورة التوبة إلى آخر سورة العنكبوت .

وتناول الثالث الموضوع من أول سورة الروم إلى آخر سورة الناس .

- تقدم ثلاثتهم بالدراسة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية " قسم القرآن وعلومه " لنيل درجة "ماجستير" وأشرف على الرسائل الثلاث الأستاذ الدكتور / محمد علي عثمان وتعد الرسائل الثلاث ضمن توجه لدى الجامعة للبحث في التراث العلمي لعلماء التفسير من سلف هذه الأمة الذين أخذوا من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
- أشار الباحثون إلى أن عكرمة أحد أبرز التابعين الذين اشتهروا بتفسير القرآن الكريم وأضحت أقواله في التفسير من أهم مصادر التفسير ، على اعتبار تصنيف المصادر بحيث يعد " تفسير القرآن بالقرآن " في الدرجة الأولى ويأتي بعده تفسير القرآن بالمأثور عن الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – ، ويأتي في الدرجة الثالثة فهم تلاميذ الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام وهم أصحابه الكرام الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه ووصفهم الله – عز وجل –

بالفلاح ، وبأنهم حزب الله فقال تعالى " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ...." التوبة ١٠١، يلحق بهؤلاء الأصحاب الكرام التابعون الذين تتلمذوا على علماء الصحابة المبرزين في تفسير القرآن الكريم .

- أشار الباحثون الثلاثة إلى أن الذين برزوا في تفسير القرآن العظيم من الصحابة عشرة : هم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى الاشعري ، وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهم أجمعين . وتتلمذ على هؤلاء علماء برزوا في علم التفسير ونهجوا نهج شيوخهم ومنهم سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وطاوس بن كيسان ، وعطاء بن أبي رباح و سعيد بن المسيب وقتادة وعكرمة رضي الله عهم ، فقد تميزت مدرسة التابعين بالكثير من الاستنباطات والإستدلالات تبعاً لاتساع رقعة المسلمين وتجدد حاجاتهم .
- وقد أشار الباحثون الثلاثة إلى أهمية جمع تفسير عكرمة لبروزه وتميزه العلمي وقدراته اللغوية الواسعة وقد دار حول ما كتب في التفسير جدل لدى أئمة التفسير حيث نقده بعض المفسرين ووثقه عدد منهم فهو أحد تلاميذ ابن عباس المقربين ومولاه وذلك له أثر كبير في تكوينه العلمي .
- تحدث الباحثون عن مدرسة مكة المكرمة في تفسير القرآن الكريم من الصحابة والتابعين إجمالاً مع التركيز على عكرمة حيث تحدثوا عن تاريخ حياته، وطلبه للعلم الذي أخذ من حياته أربعين سنة ، وتحدثوا عن شيوخه من الصحابة الذين أدرك منهم مائتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان من أبرز شيوخه حبر الأمة وترجمان القرآن " عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -.

✵ أما منهج البحث المتبع في هذه الدراسة فقد قام الباحثون بالآتي :-

جمع الروايات المروية عن عكرمة من المصادر الآتية التي قام الباحثون بالتعريف بها :

✵ جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن زيد من خالد الطبري.

✵ تفسير ابن أبي حاتم وهو عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن عمران أبو محمد التميمي الحنظلي ، وقد انفرد به صالح يحيى صواب وهذا التفسير كان لا يزال مخطوطاً ... ولا نعلم إن كان قد طبع أم لا ، ولم يعثر الباحث إلا على الأجزاء : الأول والثالث والرابع والسابع مخطوطة في مكتبات متفرقة ، وقد حققت منه سور متفرقة في مرحلتي " ماجستير " و "دكتور" في جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

✵ زاد المسير في علم التفسير : للإمام العلامة الحافظ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن على بن محمد بن علي بن عبد الله بن عبد الله البكري من ولد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – المشهور بابن الجوزي .

✵ تفسير القرآن العظيم : للشيخ الإمام العالم الحافظ عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القيسي البصراوي الأصل الدمشقي.

✵ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: تأليف العلامة عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بناظر؟ الدين محمد بن سيف الدين عمر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب

بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الـدين الهمـام الخضـيري السيوطي .

بعد جمع الروايات في صلب الرسالة يذكرون معد مصدر الورود في الهـامش ، وقد يذكرون بعض الروايات في الهامش إذا كان قول عكرمة قد ورد في تفسير آية أخرى ليست داخلة ضمن بحث أحدهم، وهذا يحتم العكوف على الرسائل الثلاثـة وجمعها في كتاب واحد تحت عنوان تفسير عكرمة جمع وتحقيق ....ز ونأمل مـن جامعة الإمام محمد سعود الإسلامية صاحبة المبادرة في الإشراف على هـذا العمـل وتشجيعه أن تتم المبادرة على يدها ويخرج التفسير في ثوب جديد .

وقد سرد الباحثون ما قاموا به من جهد علمي متميز شمـل التـراجم للـرواة والحكم عليهم بالرجوع إلى مصادر علم الإسناد وعلم الجرح والتعديل ، ومقارنـة بعض أقوال عكرمة بأقوال غيره وشرح الكلمات الغريبة وتخريج الأحاديث وترجيح بعض الآراء والاستدلال لها .

وقد خاض الباحثون في تفسير الآيات حسب ماجاء عـن عكرمـة محللـين ومقارنين وناقدين ، وهذا اتجاه في البحث ينبغي أن يسير في فلكه الباحثون تجليلـة لتراثنا العلمي وإبرازاً المواهب سلف الأمة في خدمة كتاب الله العزيـز ، ونهيـب بالجامعات العربية والإسلامية تشجيع مثل هذا فهو مهمة عظيمة لأمر عظيم جليـل والله الموفق والمعين .

تيسير البيان لأحكام القرآن

تحقيق ودراسة

التحرير

تيسير البيان لأحكام القرآن
تحقيق ودراسة

التحريـــــر

هناك رسائل كثيرة تعد بالآلاف إن لم نقل عشرات الآلاف ، أعدها بـــاحثون في مختلف التخصصات العلمية لنيل درجة علميه ، سواء كانت هذه الرسالة المعدة أساسا لنيل الدرجة العملية أم مكملة، وأمثل هذه الرسائل ما أعد لنيل درجة "ماجســتير" أو "دكتور" ، وهناك رسائل قيمة أثرت المكتبة الإسلامية وأضافت إليها شـــيئاً جديـــداً مفيدا ولو لم كان نادراً لكنه يضيف شيئا أو أشياء يحتاجهـــا البـــاحثون ويحتاجهـــا الموضوع المبحوث نفسه ، يتمثل ذلك في التحقيق الدقيق والتوثيق الوثيق، وتجلية مـــا يحتاج إلى تجلية ،وترتيب ما يحتاج إلى ترتيب .. وقد يكون بعثا لكنز دفين من العلـــم يجهله الناس ونحن هنا سنختار الوقوف عند رسالة الدكتوراه الـــتي أعـــدها الباحـــث اليمني/ أحمد محمد يحيى المقرى في جامعة أم القرى بمكة ، تحقيقا لكتاب هو في حقيقته كان كنزاً دفينا مطموراً لا يعلمه كثير من الناس، ذلك الكتاب هو (تيســـير البيـــان لأحكام القرآن) لعالم يمـــني قـــديم عـــاش في القـــرن التاســـع الهجـــري ، ذلـــك العالم هو / محمد بن علي بن عبد الله الموزعي، من منطقة (موزع) محافظة تعز جنوب غرب اليمن بالقرب من مضيق باب (المندب).

وعالمنا هذا بكتابه النادر – من حيث قيمته العلمية – يظهر أنه نابغة وعالم (موزع) بلا منازع كيف لا وله كتب أخرى لا تقل أهمية عن هذا الكتاب .

كنز هذا السفر قرونا تزيد عن خمسة قرون حتى قـــيظ الله لـــه الباحـــث العـــالم الفاضل/ أحمد المقرى فبعثه من مرقده غضاً طرياً.

وبعد تحقيق الباحث لهذا السفر الجليل وإخراجه في مجلدين ضخمين مع تخريج نصوصه، وبيان ما يحتاج إلى بيان، واثراء هوامشه بفوائد جمة تتصل بالموضوع -كاد يبقى حبيساً مرة ثانية فقيض الله له رابطة العالم الإسلامي فطبعته ووزعته على المؤسسات الإسلامية العالمية، والجمعيات ومكاتب الرابطة في العالم وكان حصولي علي نسخة من الكتاب من الباحث الأخ والصديق العزيز الذي عرفته من أكثر من خمسة وثلاثين عاماً في مكة المكرمة، أشكره علي ذلك كثيراً.

ورأيت من الخير تعريف القراء الكرام بهذا الكتاب عبر حولية الكلية العليا للقرآن الكريم، المجلة العلمية المحكمة .

وقبل أن أبدأ المسير في ظلال الكتاب أنبه القارئ الكريم إلى أن هذا النوع من الكتب (أحكام القرآن) قليل رغم كثرة التفاسير للقرآن العظيم وتفسير أحكامه ضمن ما يفسر من سائر آياته ولعل ذلك كان سبب قلة الكتابة في أحكام القرآن، فلم يوجد الكثير من المهتمين بهذا النوع من الأقدمين والمحدثين بل وجدنا أن من كتب في ذلك قلة قليلة يعدون على الأصابع، أشهرهم أبوبكر الجصاص في القرن الرابع الهجري، حنفي المذهب ألف في ذلك كتاباً قيما سماه (أحكام القرآن).

وعماد الدين بن محمد الطبري المعروف بالكياالهراسي شافعي المذهب عاش في القرن الخامس الهجري ألف كتاباً في ذلك سماه (أحكام القرآن) وهو كتاب قيم أيضا أخذ أغلب ما فيه مما أثر عن الشافعي – رحمه الله – .

وأبوبكر بن العربي المالكي المذهب وقد ألف في ذلك كتاباً أسماه (أحكام القرآن) وهو كتاب قيم ربما فاق ما قبله، ألفه صاحبه في القرن السادس الهجري.

وأبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي في القرن السابع الهجري مالكي المذهب .

كتب في ذلك كتابه (الجامع لأحكام القرآن) وهو أوسع وأشهر وأجمع ما كتب في ذلك حتى اليوم ولو أنه قد تساهل في تمحيص الأقوال والنقول مجاراة للمفسرين قبله – كما قال المحقق– واستدل علي ذلك ببعض لأمثلة .

وهذا الكتاب الذي نسير في ظلاله أو سنسير معاً ولو لمسافة قصيرة– من أحسن الكتب التي الفت في موضوع أحكام القرآن – فالغرض التعريف به.

وظهر أخيراً كتاب قيم في هذا المجال للشيخ / محمد بن علي الصابوني، حاول التجديد في الأسلوب وأجاد ، وكتب في ذلك كتابا متوسطاً سماه (روائع البيان في أحكام القرآن) وهو كتاب قيم يدرس للمتخصصين .

هذا أشهر ما كتب في الفن إلى اليوم . فأنت ترى أن الكتابة في ذلك قليلة مما يجعلنا نبرز هذا القليل فهو نافع بل كاف في هذا المجال لو سهل وصوله إلى أيدي الناس.

وإلى الرسالة التي أردنا نعود .

مقدمة الرسالة :

رغم أن المقدمات للبحوث والرسائل أمر ضروري معتاد قد لا يؤبه لقراءته إلا أنها مهمة لمن يريد أن يطل منها على سائر البحث لو أن الباحث التزم في مقدمته بمقومات المقدمات .

وما أرى صاحبنا إلا قد التزم ذلك لولا الاختصار الشديد الذي سلكه لكنه قد استهل هذه المقدمة استهلالاً بارعاً، ثم بين مسالة حصوله علي صورة المخطوطة التي لم يبدأ التحقيق حتى وفرمنها أربعاً من مختلف البلدان وذلك قد أخذ جهداً ووقتاً، ثم بين تقسيمات العمل في إخراج هذا الكتاب القيم، فقد قسم ذلك إلى قسمين رئيسين:.

القسم الأول: دراسة عن حياة المؤلف ودراسة عن الكتاب

القسم الثاني: تحقيق نص الكتاب.

وتحت كل قسم أبواب وفصول سار عليها في سائر بحثه فوفى ما التزم به.

التمهيد للدراسة وهو في الحقيقة تمهيد للقسم الأول ، وتحته ثلاثة فصول:

الفصل الأول : بيان الحالة السياسية السائدة في عصر المؤلف .

الفصل الثاني : بيان الحالة الاجتماعية في عصره .

الفصل الثالث : الحالة العلمية في عصر المؤلف.

الفصل الأول:

بين المحقق في هذا الفصل أن المؤلف عاش في عصر الدولة الرسولية التي أسسها عمر بن علي بن رسول الذي كان والياً علي اليمن من قبل الدولة الأيوبية فانقلب عليها وأعلن نفسه ملكا على اليمن، وسميت دولته بالدولة الرسولية نسبة إلى جده رسول الذي كان مقرباً لدى العباسيين وكان يرسله الخلفية العباسي إلى الولايات فسمي رسولاً، واسمه محمد بن هارون بن أبي الفتح، حكمت هذه الدولة اليمن مائتين وتسعه وعشرين عاماً، من سنة ٦٢٦ – ٨٥٥هـ.

مرت الدولة الرسولية بحال مختلفة بين قوة وضعف ، ومد وجزر كغيرها من الدويلات التي نشأت هنا وهناك خارجة عن الدولة الإسلامية (الخلافة) فتبين أن غالب مدة الرسوليين كان اضطراباً وحروباً كلها داخلية إما لإخماد (ثورات قبلية ضد الدولة ، وإما مواجهة بينهم وبين الدولة الزيدية التي كانت قائمة في بعض المناطق الشمالية وإما تنازعاً بين الأسرة الحاكمة نفسها.

وبين المحقق في هذا الفصل أن عاصمة الرسوليين كانت زبيد ولعله قد خلط في هذه المسألة بين الدولة الزيادية والرسولية ، والمهم في الأمر أن المؤلف عاش أواخر هذه الدولة والحالة السياسية أشد اضطراباً لكن التأليف كان منتعشاً، فلم يتأثر المؤلف بالحالة السائدة، بل وانحياز السلطان ضده ومناصرة خصومه من الموجودين من غلاة

الصوفية الذين ألف ضدهم وكشف أمرهم في كتاب سماه (كشف الظلمة عن هذه الأمة).

الفصل الثاني : الحالة الاجتماعية في عهد المؤلف.

وتحت هذا الفصل كتب المحقق عن جوانب اجتماعية كثيرة، ومن سرده أوصاف تلك الحالة يظهر للقارئ أنها كانت مشرقة في جوانب، مظلمة في جوانب أخرى، فجانب التجارة والزراعة ، والعلاقات الخارجية جيدة في الجملة ، وجانب الأخلاق والأمن الداخلي ، والظلم وعلاقات الناس ببعضهم جوانب مظلمة إلى حد كبير.

والمهم في الفصل تأثر المؤلف بتلك الحالة من عدمه، وهذا مارسا عند المحقق قائلاً: "كل إنسان في الحياة مرتبط ببيئته وبمن حوله من الناس، فباختلاطه بغيره من الجنس البشري يصبح جزءاً من هذا الكيان يحس بإحساسهم، ويتألم لألامهم ويعايش قضاياهم عسراً ويسراً وحزناً وصحة وسقماً".

والمجتمع الذي عاشه الموزعي كان ذا طبقات : ملوك وأمراء وأتباع، علماء وطلبه، أغنياء وفقراء ، تجار وفلاحين ، فكان الموزعي ذا علاقة بكل هذه الطبقات تقريباً ، فباعتباره طالباً للعلم له علاقة بالعلماء وباعتباره عالماً له علاقة بالسلاطين والملوك، قال ابن الأهدل في تحفة الزمن حين الكلام على ترجمة الموزعي ولم يتسن لي الأخذ عن الموزعي: في بلده موزع حتى قدم علينا في أبيات حسين، وقد قدم علي الملك الناصر .

وباعتباره فقيراً له علاقة بالفقراء، وكان ينفق كل ما عنده على الفقراء ومصالح المسلمين .

وما حصل في عصره من زلازل، وأوبئة وحروب وسلب ونهب وحرائق وفيضانات وسيول مدمرة كل ذلك جعله ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار ، فلم يجمع مالاً ولم يبن قصوراً ومات – رحمه الله تعالى- فقيراً زاهداً في الدنيا – رحمه الله رحمة واسعة[1]

---

(١) ص ٣٣-٣٤ جـ١

الفصل الثالث : الحياة العلمية في عهد الموزعي

بدأ المحقق هذا الفصل بقوله : كان العصر الذي عاش فيه الموزعي عصراً علمياً مزدهراً، امتاز بالدقة العلمية في التأليف والبراعة في الأدب شعراً ونثراً، وكان النقاش العلمي والنزاع العقدي والخلاف الفقهي سائداً في مجتمع الفقهاء والأدباء والصوفية.

ثم تحدث عن طبيعة الجدال بين العلماء في ذلك العصر، ودور السلاطين في إذكاء الخلاف العلمي قصد إثراء المسائل العلمية التي تطرح، وكان السلاطين يجمعون العلماء أحياناً فيضعون بين أيديهم بعض المسائل فيسمعون الأقوال المختلفة وضرب لذلك مثالين يدلان على ترف علمي، وانشغال بمسائل ليست ذات بال، وهذان المثلان هما :

١ - كم عدد مرات بناء الكعبة منذ البناء الأول ؟

٢ - الثاني في اول رمضان سنة ٧٩٦هـ تهيأ السلطان الأشرف للصيام واجتمع العلماء من أرجاء الدولة فثار الخلاف بينهم حول مسألة التفاضل بين الرطب والعنب للإفطار فرأي فقهاء تهامة تفضيل الرطب ورأي فقهاء الجبال تفضيل العنب؟!

ثم تحدث المحقق عن أشهر العلماء الذين عاصروا الموزعي ، واهتمام ملوك بني رسول بالعلم والعلماء، واتصاف بعضهم بالعلم ولهم مؤلفات قيمة ، منهم الملك الأفضل الذي ذكر له عبد الرحمن الديبع في كتابه (قرة العيون في تاريخ اليمن الميمون) أربعه كتب ألفها ذلك السلطان هي :

١) بغية ذوي الهمم في معرفة انساب العرب والعجم .

٢) نزهة العيون في معرفة الطوائف والقرون .

٣) العطايا السنية في معرفة طبقات فقاء اليمن وأعيانها .

٤) مختصر تاريخ ابن خلكان .

ولمزيد من الإثباتات لاهتمام السلاطين من آل رسول في دولتهم ذكر المحقق المدارس التي نشأت أيامهم ومدى الاهتمام بها بعد تهيئتها التهيئة المناسبة كارقى ما يمكن في ذلك الزمن .

إلا أنه ذكر من تلك المدارس مسجد الاشاعر في زبيد وبين أنه أنشيئ عام ٤٢٥هـ مع أن دولة بني رسول قد بدأت مع بداية القرن السابع الهجري إلا إذا أراد المحقق إحياء التدريس في هذا المسجد، لكنه لم يبين ذلك ، واكتمل التمهيد بهذا الفصل للقسم الأول.

الباب الأول : ترجمه المؤلف (رحمه الله تعالى)

تضمن هذا الباب مقدمة قصيرة بين فيها قلة المراجع في ترجمة المؤلف ونقد الإمام الشوكاني الذي ترجم لمن بعد القرن السابع و لم يترجم لهذا العالم وكلاهما يمني، ولكنه لم يحسن الاعتذار للشوكاني! إذ قال : (...أو لعل موقف المؤلف الصلب من الصوفية وأتباع ابن عربي قد حجب عن المؤرخين كالشوكاني مثل هذا الرجل الفذ .).

يفهم من قول المحقق ان الشوكاني كان صوفياً متطرفاً ونصيراً لهذا المذهب؟ والعكس هو الصحيح فللشوكاني جهاده لدحر البدع ونصر السنة.

ثم تناول المحقق الكلام عن الباب تحت ثلاثة فصول:

الفصل الأول : اسمه ونسبه

وساق تحت هذا الفصل القصير ما توصل أليه حول الموضوع، وما قدمه في هذا الشأن يكفي لمعرفة اسم المؤلف ونسبه .

الفصل الثاني: شيوخ المؤلف

وتحدث تحت هذا الفصل عن علماء تلقى عنهم المؤلف علومه التي برز فيها وأشهر أولئك الشيوخ : العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله الريمي ، وتاج الدين الهندي

الدلي والفقيه الحافظ أبو عبد الله موسى الذوالي، والشيخ غياث الدين محمد بن خضر الهندي الدلي .

ووقف عند تلامذة المؤلف الموزعي – رحمه الله – فذكر العلامة المؤرخ الحسين بن عبد الرحمن الأهدل صاحب تحفة الزمن ، والفقيه سعيد بن مسمر صاحب الفازة ، والفقيه القاضي -مال الدين المجاري، والطيب بن المؤلف ، وشمس الدين ابنه أيضاً .

ثم انتقل المحقق إلى فصل ثالث وأخير من فصول هذا الباب لكنه لم يسم الفصل؟ وتحت هذا الفصل مباحث مهمة : الأول في صفاته وثناء الناس عليه .

المبحث الثاني : أثاره العلمية وأهم ما عثر عليه من مؤلفاته:

١) كتاب "تيسير البيان لأحكام القرآن" وهذا الذي تعرف به.

٢) "الاستعداد لرتبة الاجتهاد" في الأصول .

حققه الأخ ملاطف صلاح في الجامعة الاسلاميه في مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم – رسالة علميه .

٣) "مصابيح المعاني في حروف المعاني" .

٤) كنوز الخبايا في قواعد الوصايا في الفقه.

٥) كشف الظلمة هذه الأمة، رد فيه علي غلاة الصوفية .

٦) كتاب جامع الفقه كتب منه ثلاث مجلدات وتوفى قبل إتمامه . ولم يعثر عليه المحقق .

ثم أعاد تحت المبحث الكلام عن ترجمة المؤلف نقلا عن البريهي (عبدالوهاب الريهي) من كتابه (طبقات صلحاء اليمن) وتحدث عن مشايخه وموقفه من الصوفية وقد كان شديداً في ذلك، وابتلى ابتلاءات كثيرة وهو يناظر، كبارهم ويرد علي ترهاتهم.

وتحدث عن أولاده واحداً واحداً .

وقد خص المحقق هذا الموضوع بمبحث خاص هو المبحث الثالث ص٧١-٧٣ تحت عنوان : محنته مع الصوفية.

الباب الثاني: دراسة الكتاب

تيسير البيان لأحكام القرآن

ومن هذا الباب تبدأ الدراسة لهذا الكتاب القيم بدأ **بالفصل الأول وهو حول منهجية المؤلف** في تأليفه الكتاب حيث بدأ بمقدمة إضافية شملت معظم أبواب أصول الفقه ، كما ضمنها تمهيداً عن اللسان العربية وأهميتها ورتب عليها معرفة كتاب الله وسنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهي كما قال مقدمة رائعة ينبغي أن تقرأ فان فيها ثروة لغوية وأصولية ، لذلك لا يصلح تلخيصها هنا فليرجع أليها أو ما اقتطفه المحقق منها في هذا الفصل .

الفصل الثاني

الأصول التي عتمد عليها، ومزايا كتابه هذا وشخصيته فيه واعتزازه بنفسه، ومقارنتة بين منهجه ومنهج من سبقه في تفسير آيات الأحكام.

وتحت هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : ولم يجعل له عنواناً معيناً وإنما دخل في مسألة رجوع المؤلف إلى المراجع التي سبقت تأليفه وأكثرها شافعية ولا غرابة فالمؤلف شافعي المذهب، لكنه اثبت في هذا المبحث أن المؤلف مع كونه شافعياً لكنه لم يتعصب للمذهب بل ولا لإمام المذهب فقد رد عليه في مسألة الطلاق الثلاث حيث نقل من الرد قول المؤلف: (قلت : ولا يخفى على ذي نظر صحيح وقلب سليم من الهوى ما في استدلال أبي عبد الله من الضعف وما في تأويله من الوهن حيث جعل ظاهر القرآن خلاف الظاهر منه ، وحيث ادعى النسخ بالاستدلال والاجتهاد مع ظهور الاحتمال..) هذا الرد علي الإمام الشافعي نفسه، وساق المحقق من قول المؤلف أكثر من هذا .

مزايا الكتاب :

أهم مزايا كتاب لموزعي عند المحقق هي :

١ – سهولة تناول ثماره للعالم والطالب دون عناء، لجزالة عباراته وسلاسة الفاظه وابتعاده عن الغريب من اللغة .

٢ – عدم تعصبه لمذهب معين وأنه قد خالف إمامه كثيراً وضرب لذلك خمسة أمثله خالف فيها الشافعي ورجح مذهب غيره كما رجح مذهب الإمامين أبي حنيفة ومالك في مسألة الرشد للأيتام ..قال (فينبغي أن يصرف الرشد إلى الصلاح في المال لقرينة القصد) .

ورجح قول أبي حنيفة في شهادة المرء علي نفسه بالزنى أربع مرات خلافا للشافعي الذي يرى مرة واحدة .

وكما رجح قول مالك في مسألة الأمر في قوله تعالى : (فانكحوهن بإذن أهلهن) فإن الأمر للوجوب، خشية العنت على المرأة لو عضلها وليها.

ورجح رأي القائلين بأن اللمس باليد لا ينقض الوضؤ خلافاً لمذهب الشافعية ، وهكذا فانك بقراءتك لهذا الكتاب ستجد أمثله كثيرة مشابهة لما ضربنا .

عقيدة المؤلف:

نقل المحقق قول المؤلف ليستدل به علي عقيدته وهو قوله : (وأرجو من فضل الله الكريم وتمام نعمته أن ييسر لي وضع الكتاب الذي أهم به في أحكام القرآن المجيد المتعلقة بأصول الديانات وصحيح الاعتقادات بطريق قد درست وآثار قد طمست ألا وهي طريق السلف الصالحين والأئمة الناصحين الخالية من أضاليل الضالين وزخرفة المبتدعين..) (٢).

جـ ١ : ٨٨ والقول منقول عن كتاب المؤلف الذي رد به على ابن عربي (كشف الظلمة عن هذا الأمة) والكتاب الذي رجا اتمامه هو هذا الكتاب بين أيدينا) .

المبحث الثاني

المؤلفات التي ألفت في أحكام القرآن .

سرد المؤلف ستة وأربعين مؤلفاً في أحكام القرآن لعلماء من مختلف العصور والمذاهب ، وأخذها المحقق من كتاب (معجم مصنفات القرآن الكريم) للدكتور علي شواخ إسحاق.

ولم يشر إلى لمد وتاريخ طبع الكتاب ولا الصفحات التي أخذ منها ، لكن ما نقله مفيد، وبالرجوع إلى الكتاب يستفيد القارئ كثيراً خاصة المتخصصين والمهتمين بهذا الفن من العلوم الاسلامية .

المبحث الثالث : مقارنة بين منهج الموزعي وبين منهج من سبقه في تفسير آيات الأحكام .

جرت المقارنة تحت هذا المبحث بين منهج المؤلف للكتاب الذي بين ايدينا وبين منهج كل من : أبي بكر احمد بن علي الجصاص الحنفي ت ٣٧٠ هـ، حنفي المذهب في كتابه أحكام القرآن قدم له بكتاب حول أصول الفقه ثم فسر آيات الأحكام متعصباً ظاهراً لمذهبه الحنفي، وبين المحقق مزايا الكتاب وفضل المؤلف وعمق علمه وفهمه غير أنه لقدرته الفائقه وتعصبه الشديد لمذهبه يحاول اعتساف الأدلة لتافق مذهب الحنفيه.

والكتاب الثاني الذي اختاره للمقارنة هو أحكام القرآن لعماد الدين علي بن محمد الطبري ت ٥٠٤هـ مسلك سبيل إمامه الشافعي فجمع ما قاله وربما لم يزد عليه لكنه قد جمع شتات أقواله تحت هذا المسمى وزاد الشيء القليل مما فات الشافعي تدوينه كما قال هو : (أردت أن أصنف في أحكام القرآن كتاباً اشرح فيه ما انتزعه الشافعي

– رضي الله عنه من اخذ الدلائل في غوامض المسائل وضممت إليه ما نسجته على منواله واحتذيت فيه علي مثاله على قدر طاقتي وجهدي (٣)

وهو كسابقه متعصب لمذهبه بل فاقه في ذلك كثيراً .

والثالث كتاب أحكام القرآن لأبي بكر احمد بن الحسين البيهقي ت ٤٥٨هـ .

ومنهج مؤلفه منهج من سبقه بل اشد تقيداً بما قاله إمامه الشافعي –رحمه الله– و لم يزد على ما قاله شيئاً فكان دوره جمع أقوال الشافعي في ذلك فحسب مع أنه إمام عظيم ذو علم غزير لكنه سلك ذلك المسلك فلم يخرج عنه .

والرابع كتاب، أحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن العربي المالكي ت ٥٤٣هـ.

وكتابه كتاب جليل القدر متوسط لا تطويل فيه ولا اختصار مخل، سلك فيه البحث العلمي والتمحيص في المسألة الواحدة ، ذاكراً أقوال المذاهب فيها واستدلالاتهم مرجحاً ما يستحق لترجيح وإن كان يميل إلى مذهبه أكثر من غيره لكنه ليس كمن تقدم ممن ذكرنا، فمنهجه أسلم لمؤلفه وأحكم فهو خير ما كتب في هذا الفن .

الخامس : كتاب الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي المالكي ت ٦٧١هـ.

وقد فسر القرآن كله مركزاً على الأحكام أكثر من غيرها ، وهو أوسع ما كتب في هذا المجال ، ومنهجه يشبه منهج أبن العربي في تناوله آيات الأحكام، منصف لغيره مدقق في أخذه ونقله ونسبة الأقوال إلى قائليها ، قال عن منهجه: (وشرطي في هذا الكتاب إضافة الأقوال إلى قائليها والأحاديث إلى مصنفيها فإنه يقال: (من بركة العلم أن يضاف القول إلى قائله، وكثيراً ما يجيء الحديث في كتب الفقه والتفسير مبهماً، لا

من التحقيق ص ٩٧ جـ ١ .

يعرف من أخرجه إلا من أطلع على كتب الحديث فيبقى من لا خبرة له بذلك حائراً لا يعرف الصحيح من السقيم) (٤) .

قال المحقق : وقد التزم بهذا المنهج إلا القليل، من هذا القليل بالنسبة لكتابه الضخم ما ذكره من القصص الإسرائيلية التي ذكرها المفسرون وذكر أمثلة عجيبة على ذلك(٥).

لكنه مع ذلك من افضل التفاسير وأكثرها نفعاً .

عودة إلى كتاب المؤلف :

قال المحقق بعد: هذه المقارنة الموجزة، لقد استفاد المؤلف –رحمه الله – من جميع المؤلفين الذين سبقوه في تفسير آيات الأحكام ، ورسم له منهجاً جديداً في مقدمته الأصولية التي وضعها في صدر كتابه ، والتزم بهذا المنهج من أول الكتاب إلى أخره مطبقاً القواعد الأصولية .

وضرب لذلك مثلاً مما كتبه المؤلف عن استعمال العرب المعام وتوسعها فيه ، وكيف يكون ذلك التوسع والتنوع في استعمال العام .

وانتهى المحقق من الدراسة حول المؤلف ومنهجه والمقارنة بين المناهج التي عرضها ثم عرض صور الصفحات التي ترجمت للمؤلف وذكرت كتابه من مراجع أخرى ص١٠٧-١١٠.

ج ١ ص ١٠٢ .
انظر الصفحة نفسها

مقدمة التحقيق للكتاب

أكد المحقق في هذه المقدمة اسم الكتاب الذي يحققه واستشهد على الاسم من مقدمة المؤلف نفسه .

ثم أكد نسبه الكتاب إلى المؤلف مستشهداً بأقوال خمسة من المؤرخين ورجال الفكر، إضافة إلى أن الكتاب بهذا الاسم لم ينسب إلى احد غيره. فلا شك في نسبة الكتاب إلى المؤلف الموزعي .

ثم تحدث عن النسخ المخطوطة التي حصل عليها واعتمد في التحقيق عليها وهي خمسة مخطوطات ، نسبها إلى البلدان والأماكن والأشخاص بحسب حصوله علي كل منها .

تم في ص١١٩ بين منهجه في التحقيق ، وفي ص١٢٠ بين الرموز التي اعتمدها ثم صور نماذج لصفحات من المخطوطات بلغت اثنين وعشرين نموذجاً .

ثم دخل في تحقيق مقدمة المؤلف مطبقاً منهجه الذي التزمه للتحقيق ومقدمة المؤلف مقدمة ضافيه كما قد سبق بيان ذلك ، احتوت عدة فصول، وهي في غالبها مقدمة أصولية تنير طريق السير في تفسير آيات الأحكام و لم يكن المؤلف أول من سلك هذا المسلك فقد رأينا أن الجصاص العالم الحنفي قد سبقه إلى ذلك قبل ما يقرب من ثلاثة قرون. .

لكن مقدمة الموزعي لهذا السفر الجليل فريدة ومفيدة مضى معها المحقق حتى ص ٢١٧ من الكتاب، .

تحقيق التفسير

يبدأ تحقيق تفسير آيات الأحكام من ص ٢٧٢ من الجزء الأول، ونلاحظ أن المؤلف قد تجاوز سورة الفاتحة كلها مع أن فيها أحكاماً حولها اختلافات المذاهب ، لم يتجاوزها غيره ممن كتب في أحكام القرآن.

وبدأ الكلام عن الآية ١٤٢ من سورة البقرة وما تحمله من أحكام ثم علها الآية الأولى من الآيات المفسرة مع أنه قد سبقها آيات كثيرة في أكثر من جزء تحمل أحكاما هامة، لم يهملها غيره .

ولم يبين المؤلف ولا المحقق لماذا تجاوز آيات كثيرة اعتبرها غيره آيات أحكام ، فقد قال كثيرون أنها تصل إلى خمسمائة أية ، وبعضهم سار علي ذلك في تفسيره لآيات الأحكام .

لكن صاحبنا لم يزد عن مائتين وثلاث وعشرين آية أولها آية (١٤٢) من سورة البقرة كما قدمنا وآخرها آية المزمل (١) .

لكننا لاحظنا أنه يذكر الآية – أحياناً – ويرقمها ثم لا يكتفي بتفسيرها وحدها، وإنما يجد أحكاماً بعدها فيفسرها وقد تكون آيات كثيرة، كما هو في سورة المزمل.

وفي الجملة فإننا نعيش في ظلال تفسير جليل قل أن يوجد مثله لآيات الأحكام، جدير به أن يصل كل مكتبات الجامعات، والمهتمين بهذا العلم من علماء وطلاب علم شرعي، فإنه لا يستغني عنه رغم وجود كثير من التفاسير في هذا المجال .

ولا مجال لاستعراض ما كتبه تحت كل أية من الآيات التي فسرها فالغرض إنما هو التعريف بالكاتب والكتاب ، ليسعى إليه من يريد اقتناءه فقط . طبعته الطبعة الأولى رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٤١٧هـ جزى الله مؤلفه ومحققه ومن طبعه خير الجزاء .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

7- Improving the status of the accommodation .
8- Qualifying a group of the graduates by sending them to prepare the MA and Ph degrees to become effective members in the faculty staff .

boys to offer four scholarships for preparing the MA degree in Egypt.

20- The faculty includes two departments ; one for the readings and one for interoperation.

The Faculty Staff :

The faculty has been depending currently on highly qualified teachers who hold the Ph.D. All of them are members of Sana's University staff ,except the sheiks of the Holy Qur'an who are selected from the great readers who have licenses in reading as have been given to us by the Messenger (PBUH) .

The Faculty Finance :

The faculty depends in its finance on the gifts offered by the charitable people and who like the Holy Qur'an. It is hoped that Allah will help them to continue their support to enable the faculty to achieve its aims.

Future Ambitions :

1- Establishing a university for the Holy Qur'an and Islamic sciences which includes the various specializations/fields.
2- Establishing an audio – visual lab to help students become skillful at the quranic applications and to enable them acquire the skills of the computer use , and to provide them with a foreign .
3- Publishing an annual scientific periodical .
4- Establishing a branch is some goveronates .
5- Establishing a library for the Quranic manuscripts.
6- Providing students with the transport means .

addition to a computer center to qualify them on the modern technology , and enabling them to cope with the current era .

13- The faculty depends on a suitable annual budget to meet the expenditures of the students activities .

14- The faculty invites annually visiting teachers from outside the country to deliver lectures on the rare specialization /fields.

15- The faculty gives hand and cooperates with the cocieties , boards, universities , institutes and the people concerned with the Holy Quarn and the Islamic science locally and internationally .

16- There are two libraries in the faculty (one for boys and another for girls) each is provided with the scientific references needed by students.

17- The faculty encourages students to practice the various activities accompanying the curriculum such as (the public lectures – journeys – issuing circulars- charitable fairs-scientific courses in the various fields).

18- The government employs the faculty graduates in the educational field to teach the subject of the Holy Qur'an . Generalization on this has been issued by the Ministry of Education absorb the outputs of the High Faculty of The Holy Qur'an to teach in the general education.

19- The deputy minister of education announced in the graduation of the first batch of girls and the fifth batch of

2- The faculty confers the graduates a university certificate beside the a licence in the Holy Quran on the seven readings .

3- The faculty staff are teachers of the two sexes , and are highly qualified .

4- Teaching the Holy Quran in the faculty depends on similar to the micro-education (Group system which doesn't include more than 15 student in the one group) , besides the number of students in lectures is very suitable .

5- The study in the faculty is free of charge .

6- The faculty provides students or non-Yemeni male students coming from remote areas with accommodation.

7- The faculty offers cash and kind incentive awards for successful students.

8- The faculty is connected with twinness agreements with some Arab universities.

9- The faculty is member in the Islamic world universities Union .

10- The faculty is accredited by the ministry of the High Education under resolution No. 15/1994.

11- There is a co-operation agreement to equate the certificate of the faculty with the certificate of the faculty of Education of Sana'a University .

12- The girls branch in the faculty includes a nursery for the babies of mothers studying in the faculty , in

6- Training students to behave such behaviour recommended by the Holy Quran and take the prophet as a model in this aspect

In addition to these aims the faculty seeks to achieve the following:

- Assessing and encouraging the scientific researches to the Holy Quran & its sciences .
- Exchanging information , experiences and publications as well as rootering the links with the similar scientific and educational corporation.
- Taking part in the training conferences , subsiums and siminars locally and internationally .
- Holding qualifying and training courses for those working in the field of teaching and learning the Holy Quran and its sciences .

Encouraging the verification and publication of the manuscripts and the scientific & technical documents related to the Holy Quran and its sciences .

The Faculty characteristics :

1- the specialization in the Holy Quran for it is the only faculty in this field in Yemen, besides the girls branch is one of the first establishments in the Islamic world in this field .

3- The faculty depends on the on – going assessment . A student subjects to the regular follow- up during his/her study .

4- The student who passes the whole subjects during the four years is conferred a certificate called high license in the readings or interoperation . This certificate is equivalent to that certificates conferred b the other university faculties .

The most important conditions of the enrolment in the faculty :

1. The secondary school certificate or its equivalent .
2. Memorizing the first ten chapters of the Holly Kuran.
3. Passing the entrance exam .

Aims of the faculty :

1- Providing the community with those generations who memorize the Holy Quran in the seven readings as was given by the Prophet (Peace be upon him) .

2- Comprehending the appropriate faith and the constituting regulations and complying with the behavior sated by Holy Quran .

3- Enabling students to take in the Holy Quran sciences , and information regulations and its applications .

4- Enabling students to acquire the linguistic skills essential for understanding the senses of the Holy Quran and its miraculous aspects.

5- Training student on the modern educational methods for teaching the Holy Quran and its various sciences.

the Holy Quran which was officially on the 3rd of Rabia Awal 1413 – corresponding to 1/9/1992 .

The society has been active since it has been established in the field of the Holy Quran . it facilitated the enrolment of many adults either maks or females in the Quranic groups which spread in a number of the Yemeni goveronrates in addition to its concern in various Quranic activities .

The Society , from its educational activity found that there , great qualitatively and quantitavely shortage in the holders of the Holy Quran who can recite it well on more than one tongue , and can devote themselves to teach it to people widely . So, the society established the Hight Faculty for the Holy Quran under resolution N. 15/1994 issued by the Ministry of High Education . the faculty is considered a unique minarete in Yemen for being the first of its kind in terms of specialization in the Holy Quran and its sciences either in teaching or learning , research or publication .

The faculty started in 1415 – 1994 only with the boy branch and to meat the wish of people it opened the girl branch in 1419-1998

The studying system in the faculty :

1- Students study four years , each year includes two terms.

2- The duration of the study in the one term is eighteen weeks which includes the examinations of the term termination . The subjects in the four years are 24.

The High Faculty of Holy Quran ,,,,,
Originality & uniqueness

Introduction :

Comprehending the Holy Quran is the way to perceive its senses and understanding its aims which are the origin of the religion tasks .. when we read his speech : "To explain it to people " we perceive that the task of here refers to it is a must to explain the Holy Quran to people by a way or another ..

The scholar will explain it with his /her knowledge and the non-scholar will do it with his /her search to serve the Book either by money or by other things .

In this sense , the whole will work to reach the goodness degree on which the prophet (Peace be upon him) :

"your best is the one who leant and taught Quran " . We also find that the prophet (PBUH) strikes a comparison between that who has been granted the Holy Quran and worked in it and the person who has been given money and worked in spending it for the sake of Allah . the Prophet says :" No jealousy except in tow : A man was given Quran and he spends his day and night reading it , and a man was given money and he spends it day and night for the sake of Allah "

Therefore , Some charitable people in Yemen invited each other to enter with those described by the messanger (PSUH) with goodness by establishing the charitable society for teaching

بسم الله الرحمن الرحيم

THE HOLY QURAN HIGH COLLEGE MAGAZINE

Annual, scientific, And Precise, Issued By The Holy Quran High College – Republic Of Yemen

Chief Of Editing
Dr. Abdulhaq AL-Qadhi

Director Of Editing
Mr. Hassan Jaber

Deputy Director Of Editing
Dr. Hafsa Manshi

Secretary Of Editing
Mr. Mohammed AL-Adeel

Consultation Body

Prof. Dr. Hassan Mohamed AL-Ahdel
Prof. Dr. Mohamed Sinan AL-Jalal.
Prof. Dr. Abdulkareem Zaydan .
Prof. Dr. Abdulwahab Lutfi AL-Daylami
Prof. Dr. Ali Ghaleb AL-Mikhlafi
Prof. Dr. Ali Ahmed AL-Qulaysi.
Prof. Dr. Mohamed Yousef AL-Rubaydi
Prof. Dr. Mohamed Hatam AL-Mikhlafi
Prof. Dr. Ibraheem Ibraheem AL-Quraybi

All Correspondencas To be Titled To Director Of Editing On The Following Address:
The Holy Quran High College Magazine – Republic Of Yemen – Sana'a
p . o . Box (11229) Tel (216865 – 4) Fax. (216869)

Printing And Artistic Direction : Mohamed Abdulkhaeq AL-Qadhadhi